طلعنا عالحريّة

نصف شهرية، ثقافية، مستقلة

حلب تحت النار

العدد 65

2016 / 2 / 17

مجلة مستقلة، تعنى بشؤون الثورة السورية، نصف شهرية، تطبع وتوزع داخل سوريا وفي عدد من مخيمات اللجوء والتجمعات السورية في الخارج

الفرصة الأخيرة، والخيار الأخير

افتتاحية بقلم ماهر مسعود

بعد أن أصبحت الثورة السورية حرب توازنات إقليمية ودولية، وبعد أن أصبح الشعب السوري بمجمله هو الخاسر الأكبر على المستويين القريب والمتوسط، وبعد أن أصبح تنظيم داعش هو الموجّه الأقوى للسياسات العالمية في المنطقة، لم يعد هناك خيارات متنوعة أمام الشعب السوري، والأهم أنه لم يعد هناك خيارات متنوعة أمام القوى التي سمّت نفسها حليفة للثورة السورية، وبالتحديد هنا، تركيا والسعودية.

أولاً، على العكس من كلّ الكلام الديبلوماسي الرائج، ليس هناك حلّ سياسي مجرد للقضية السورية، أو وبمعنى آخر يمكن القول: إن الحل السياسي الذي تقوده الطائرات الروسية والقصف الروسي الهمجي على الشعب السوري، لا يعني سوى أمراً واحداً بشقين؛ في الشقّ الأول هو هزيمة الشعب السوري أمام نظام الأسد، والاعتراف الدولي بالأسد كبطل حرب، ومنتصر مطلق في الحرب على الثورة الإرهابية السورية، وثورات العالم العربي بالمعية (طالما أنه لن يجرؤ شعب عربي بعد اليوم على القيام بنصف ثورة بعد أن رأى ما حصل في سوريا)، وفي الشق الثاني هو هزيمة "المحور السني" الذي تقوده أنقرة والرياض، مقابل "المحور الشيعي" الذي تقوده طهران على المستوى الإقليمي، وروسيا على المستوى الدولي.

إن تمرير "الحل السياسي" الذي ترعاه أمريكا، وتقوده روسيا، وتؤديه طهران، ويلعبه الأسد، وتزكّيه إسرائيل. هو إعلان دخول العالم في مرحلة ظلامية من نوع جديد، عنوانها الإرهاب، وحقيقتها تحطيم إرادة الشعوب، وتغييب كل القضايا العادلة في العالم ووضعها، إلى أجل غير مسمى، تحت سلطة الأقوياء والأغنياء وحدهم، المافيا الدولية المتحالفة عولمياً.

إن دولاً مثل السعودية وتركيا، ليست بعيدة عن تحالف الأقوياء، بل إن ما يجمع دولاً مثل السعودية وإيران أو تركيا وروسيا أكبر بالمعنى المجرد مما يفرقها، ولكن لسوء حظ كل من تركيا والسعودية أن تلتقي مصالحهما مع مصالح الثورة السورية، وأن يحملا وزر قضية عادلة وجبارة مثل قضية الشعب السوري، بعد أن خرجت من مستواها المحلي إلى مستواها الإقليمي والدولي بحكم الضرورة، وبعد أن استبدل أوباما الدم السوري بالأسلحة الكيماوية لنظام الأسد، واستبدلت إيران برنامجها النووي بالسيطرة الإقليمية على حساب الدم السوري ذاته.

لذلك لا نرى خيارات متعددة أمام "حلفاء الأمر الواقع" الممثلين بالسعودية وتركيا بشكل رئيس، فإما الدخول البري؛ دون ضمانات أمريكية، على الأرض في حرب غير مضمونة النتائج ضدّ المحور الإيراني الروسي وتوابعه، وهو ما قد يؤدي فعلاً إلى حرب عالمية ثالثة، مع بقاء فرصة تعديل موازين القوى إقليمياً ومحلياً وإيجاد حلّ سياسي دون الأسد قائمة أيضاً. أو القبول بالهزيمة الإقليمية لهم، وعودة السوريين لحضن النظام، ثم المناورة على النتف التي قد يلقيها لهم النظام الإقليمي والدولي الجديد.

تبدو الأمور في طور الوصول إلى خواتيمها، لكنها تقف على مفترق الطريق الصعب، والقرارات التاريخية، ففي حرب الوحوش الضارية التي تتكالب على الشعب السوري، ليس هناك خيارات جيدة، ويبدو أننا أمام الفرصة الأخيرة، والخيار الأخير، فإما تسليم المنطقة لإيران كأكبر مركز إقليمي مضبوط وقوي ومنضبط بالمعايير الدولية التي نظّر لها هنتنغتون في صراع الحضارات الجديد، وما يحتّمه ذلك من الاعتراف بتقاسم النفوذ السياسي بين إيران وروسيا وإسرائيل في شرق المتوسط، أو الانزلاق إلى حرب مواجهة تغير وتعدّل موازين اللعبة السياسية والعسكرية، وتعيد فرز اللاعبين الجدد على أسس جديدة.

على عكس ما قاله كلاوزفيتش: إن الحرب هي امتداد للسياسة بطرق أخرى، اعتبر ميشيل فوكو إن السياسة هي امتداد للحرب وليس العكس. هذا ما يفعله الروس عندما يرسمون، ويرسّمون حدود السياسة على أرض الحرب، في سوريا مثلما في أوكرانيا، ولا يتوهم أحد أننا مقبلين على تغيير مهم في مسار الأحداث دون مواجهة الحرب بالحرب، بحيث تصبح السياسة نتيجة لا منطلق.

طلعنا عالحريّة

مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

للنشر أو مراسلة فريق التحرير
freedomraise@gmail.com

- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
- الجريدة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد.

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت
www.freedomraise.net
facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise

رئيس التحرير
ليلى الصفدي

معاون رئيس التحرير
أسامة نصّار

المحرر الثقافي
رامي العاشق

المحرر الاقتصادي
وائل موسى

زملاء مختطفون في الغوطة الشرقية
رزان زيتونة - ناظم حمادي

عن صعود السلفيّة الجهادية وهبوط الثورة

عماد العبار

مصدر الصورة: انترنت

تضطرنا الحالة المتردّية التي وصلت إليها الحالة السورية للعودة إلى بدايات الثورة التي كانت لافتة بكل المقاييس، سيّما في شهورها الأولى، لدرجة أنّ عدوّها احتار في أمرها وأصابه العجز والاضطراب على مدى أشهر، هي ستة أشهر من السلميّة بحسب تصريح لرأس النظام. العودة إلى البدايات في حالتنا ليست على سبيل الوقوف على الأطلال، بل للبحث عن الأخطاء والوقوف عندها قليلاً، فلا شكّ وأنّ أخطاء كثيرة ارتكبت، مما دفع الأمور من تلك البداية التي كادت أن تكون مثالية لتصبح عند حافة هاوية، أو تكاد..

ليس المراد هنا إعادة الجدل القديم بين السلمية والعسكرة، وحول دور الحراك المدني وعلاقته بعمل الفصائل المسلّحة، فذلك جدل تؤجله اضطرارياً حالة الحرب المفتوحة على المدنيين، والقصف الذي لا يتوقف ساعة من نهار.. بل المراد هو إعادة تسليط الضوء على المشاريع التي طرحت نفسها بديلاً عن المشروع الأول للثورة، وأسهمت إلى حدّ بعيد في الوصول إلى الحالة الراهنة، حيث انقسمت الفصائل المسلحة بين بعضها البعض، فتقاتلت فيما بينها تارة، أو عملت بدون تنسيق متبادل، أو باستقلالية قاتلة سهّلت مهمّة أعدائها من المليشيات التي استقدمها النظام للقضاء على الثورة. لعلّ أكثر الخلافات التي يمكن أن نسجلها هنا هو الخلاف حول علم الثورة، وهو خلاف لم يسبق وأن أثير بهذا الشكل في ثورة أخرى. والخلاف حول العلم ليس خلافاً حول مجرّد قطعة قماش، بل عكس خلافاً حول هويّات، وتضارباً بين مشاريع انتهزت حالة الفوضى وفرضت وجودها على السوريّين تحت ذرائع مختلفة..

بدأ الخلاف مع ظهور الفصائل السلفيّة على الساحة، بشقيّها السلفي المحليّ والجهادي العالمي، ومع الفارق الكبير بين السلفية المحلية ونظيرتها العالمية في التعامل مع الواقع السوري، إلا أن كلتيهما أثارتا ريبة بخصوص مشروع ونظرة كل منهما لطبيعة الصراع الدائر، وتطلّعاتهما لمستقبل سوريا ما بعد سقوط النظام.. سيّما بعد أن تمكّنت الفصائل السلفيّة من بعض المناطق التي سمّيت بالـ "محرّرة" مما أتاح لها إعطاء نماذج مصغّرة عن مشاريعها المستقبليّة، وعن كيفيّة إدارتها للدولة، وكيفية فهمها لنزعة السوريين بعد الثورة نحو التحرر والديمقراطية.. أظهرت تلك النماذج التطبيقيّة المصغّرة تضارباً بين تلك المناهج وبين تطلعات نسبة كبيرة من السوريّين المنخرطين في الثورة، ما أدّى إلى ظهور سجالات لم تسهم في إغناء الحالة السوريّة، بل دفعت نحو صراعات متزايدة ضمن صفوف الطرف الذي يقف في وجه نظام الأسد، في حين أنّ جبهة النظام بقيت متماسكة إلى حدّ بعيد على مستوى الخطاب والسلوك، فالنظام لم يطرأ عليه خلال مرحلة طويلة من عمر الثورة أي طارئ يشي بحدوث أي تغييرات على مستوى البنية والمنهج، اللهم إلا بعض ما أثير حول سلوك الإيرانيين في دمشق وحمص، الأمر الذي بدا فعلاً استفزازياً أكثر من أن يكون عملاً ممنهجاً يحمل دلالة بعيدة..

تقتضي الموضوعية منا الاعتراف بأنّ صعود السلفيّة جاء ردّاً على تصاعد العنف الدموي من قبل النظام ومليشياته، وأنّ خطابها المتشدّد شكّل للثوار في لحظة ما دافعاً للمقاومة والصمود في وجه عنف غير مسبوق، بما يتضمّنه هذا الخطاب من تنظير يعمل على استيعاب المظلوميّة، وآليات تحوّلها إلى فعل ممنهج، وبما تمتلكه من قدرة على شرعنة دوافع الانتقام عند الفئة المظلومة، وبما تمتلكه من خبرة طويلة في مقارعة الجيوش المدرّبة وإنهاك الأنظمة.. ومع تفهّم كامل للتفاصيل آنفة الذكر، إلّا أنّ الموضوعية تقتضي الاعتراف أيضاً بأنّ هذا الصعود رافقه هبوط بكل ما عدا ذلك على صعيد الثورة.. إن كان على مستوى التأييد الخارجي، أو على مستوى التضامن الشعبي الداخلي. بل إنّ السلفيّة الجهادية كانت أحد أكبر العقبات أمام تمدّد الفصائل ذات الخطاب الوطني المعتدل، الأكثر شبهاً بعموم السوريّين، والأقرب إلى الخط العام للثورة ومطالبها الأولى، وعلى رأسها مطلب الحريّة على مستوى الممارسة السياسية..

وبالإضافة إلى الخلافات التي سببها التوجه السلفي الجهادي على مستوى وحدة الصف، فإنّها قدّمت الذريعة المناسبة لفصائل أخرى لم تشارك في الثورة أصلاً، ولكنها أصبحت عدوانية تجاهها، ومضت في مشروعها الانفصالي بذريعة أنّ الثورة لم تعد ملكاً للسوريين، وإنما لمشروع جهادي معولم لا يمت للسوريين بصلة.. وجدت هذه الفصائل الانفصالية، ممثلة بوحدات حماية الشعب الكردية، في المشروع الجهادي المبرّر الملائم لمشروعها الانفصالي، فكانت النتيجة ازدياداً في تفتّت المجتمع السوري وتوسّعاً في نطاق الحرب الأهليّة..

تبدو سوريا، و ربما المنطقة بأكملها، مع الإعلان عن التحضير للدخول السعودي التركي المباشر في الحرب الدائرة، على مشارف حقبة جديدة، قد تكون الأكثر خطورة، بعد أن توحّدت النيران الروسيّة مع نيران النظام ونيران الفصائل الانفصالية، فيما يبدو أنّها حرب الجميع على الشعب السوري، الذي بات المعني الأول بالموت والدمار، وآخر المعنيّين في تقرير مصيره.. ومع أنّ الأمر قد خرج من أيدي السوريين بنسبة كبيرة، إلّا أنّ عودة الفصائل المسلّحة إلى ما اتفق عليه السوريّون في البدايات، واجتماعهم على خطاب وطني معتدل، سيعيد إلى السوريين زمام المبادرة، وهذا لا يكون قبل عزل التوجهات الجهادية العالمية، واستيعاب السلفية المحلية ضمن كتلة وطنية..

قد يبدو الأمر متأخراً، وهو كذلك فعلاً، لكن المزيد من التأخير قد يعني مزيداً من التفكّك، ليس على المدى المنظور، وإنما البعيد أيضاً..

كارثة الشهباء.. وطيفٌ من الألوان الجديدة بطعم الاحتلال ..

أيـن الحـقيـقـة يـا حـلـب؟!

سمير كرم

لم يعد أهالي مدينة الشهباء وريفها على قلب رجلٍ واحد، فمنهم من غادرها ومنهم من لقى حتفه، وآخرون تجمعهم رابطة الدم والأرض والتاريخ يتصارعون في ميادينها، بأجنداتٍ خارجية في حربٍ تذكر العالم بمعركة ستالينغراد الشهيرة.

بيد أن الكوارث التي تتعرض لها المدينة جراء قصف الطيران الروسي وقوات النظام وميليشياتها، كشفت القناع عن تجار السياسة، فضلاً عن ظهور مصطلحاتٍ حديثة يُسوِّق لها الإعلام الروسي الرسمي، حين أعلن أنهُ ما من دولةٍ في التاريخ اسمها "سوريا"، وأنّ هذه البقعة من الأرض المسماة الآن "سوريا" ستكون "روسيا الجديدة".

وبناءً على ما سبق، ردت قاذفاتُ فلاديمير بوتين في حلب على العملية السياسية بجنيف، حين رفضت الهيئة السورية العليا للتفاوض قبول المفاوضات قبل إرسال المساعدات ووقف القصف.

المحلل السياسي والاستراتيجي "محمود المؤيد" يؤكد لـ"طلعنا عالحرية"، أن نظام الأسد يحتاج حلب كبعد استراتيجي من نواحي عدة، أولها معنوي كون حلب تشكل مركزاً اقتصادياً، وبُعداً عسكرياً يحرم المعارضة من حلب كخزان بشري ولوجستي، والبعد الأخير أمني، فهو يمنع المشروع التركي "العمق الاستراتيجي".

وأضاف أيضاً أن "أبعاد معركة حلب، توضح اللعبة الدولية التي لاتزال في بداية الترتيبات، فهي لا تشمل الخرائط الجيوسياسية فقط، بل الديموغرافية التاريخية والسكانية والدينية".

معادلة حلب: أحلامٌ ثورية قيد الانتظار وواقع مشغول بتدميرها

تستميت قوات المعارضة في مواجهة قوات الأسد من جهة والميليشيات القادمة من إيران والعراق ولبنان وكذلك ميليشياتٌ كردية برزت للعلن، وأضحت تتوق للسيطرة على بلدات محررة قدمت أبناءها قرابين حتى نالت حريتها.

وأكد أحد الضباط الأحرار الرائد المظلي "علي جمعة" في تصريح خاص لـ"طلعنا عالحرية" أنه "ثمة لعبة كبيرةً تجري في سوريا ما أدى إلى تفاقم الأوضاع في حلب وغيرها"، ولفت إلى أن قادة الفصائل المعارضة اتبعوا تعليمات الخارج وساندوا تلك اللعبة من أجل "تقسيم سوريا إلى أربع دويلاتٍ (كردية - علوية - سنية - درزية)" على حد قوله.

من جانبه أوضح العميد "أحمد فرزات" أن "الأمور في حلب تتجه للأسوأ جراء التفرقة"، مطالباً باتحاد الفصائل وثباتها على موقفٍ واحد.

بدوره أكد الصحفي "مرهف صوان" أن "النظام لا يملك زمام المبادرة في حلب، فالقوات التي فكّت الحصار عن نبل والزهراء هي عصابات طائفية والعمليات الجوية التي تقودها روسيا".

وأردف صوان قائلاً: "إن معركة حلب هي تصفية حسابات بين روسيا وتركيا، أما محلياً فإن مايحدث قد يمهد لتقسيم سوريا إلا في حال حصول تطور عسكري جديد يخلط الأوراق من جديد".

التهجير القسري والخوف من الأعظم (التغيير الديموغرافي)

وقد تدفق عشرات الآلاف من اللاجئين إلى الحدود السورية التركية هرباً من القصف، في وقتٍ طالبت فيه دول أوروبا بضرورة استيعاب تركيا لملايين الهاربين إليها، خوفاً على حدود "شينغن" الأوروبية.

ويوجد أكثر من 500 ألف سوري موزعين على اعزاز وسجو، في 10 مخيمات على الشريط الحدودي وفي معبر باب السلامة، هجَّرتهم الميليشيا الكردية وقوات النظام.

وأفاد ناشطون وسكانٌ محليون أنه ثمة تخوفٌ من التهجير و"تكريد" المناطق التي تتقدم نحوها الميليشيا الكردية، بهدف تغيير تركيبتها السكانية.

ومما لا شك فيه أنه يبدو غريباً نَيل قواتٍ كردية تُعتبر فرعاً لحزب العمال الكردستاني وتقاتل ثواراً سوريين بريف حلب، ثقة واشنطن التي أشادت بالمعارضة السورية مرةً وخانتها مرات كثيرة، فضلاً عن علاقات الحزب مع نظام دمشق وروسيا، ما أثار ريبةً في المنطقة لم تعد خافيةً على أحد.

مدير الرابطة السورية لحقوق اللاجئين "محمد النعيمي" أكد "أن الأسد وحلفائه ودولاً غربية (لم يسمِّها) عملوا على تغيير ديموغرافي شامل، إن كان من ناحية مذهبية كما في ريف دمشق أو من ناحية عرقية كما يجري الآن في شمال سوريا".

ولفت إلى أن أكراد سوريا لا يملكون مقومات الدولة لا من حيث الأكثرية ولا من حيث الموقع الجغرافي، مشيراً إلى أن "أمريكا استغلت ذلك في دغدغة حلم الأكراد بالدولة، واستطاعت تجنيد صالح مسلم ومن خلفه الأكراد، في محاربة بقية الفصائل".

وقال القاضي "حسين حمادة" لـ"طلعنا عالحرية": "إن ما يجري اليوم في حلب، حقيقةٌ تأتي في سياق المشروع الذي تسعى إلى تحقيقه الولايات المتحدة الأمريكية (مشروع شرق أوسط كبير أو جديد)" مضيفاً: "للأسف تماهى هذا المشروع مع قوى بالداخل السوري تحمل مشروعية (عقدي-كنتوني)، إلى جانب غياب كامل لقيادة سياسية للثورة وتشتت في صفِ قواها، وارتهان أغلبها لقوىً إقليمية لا يعنيها المشروع الوطني بشيء".

وأوضح حمادة أن "هذا الأمر سيكون له ارتدادات

البقية في الصفحة 9

إفلاس الاستعصاء السوريّ

شوكت غرزالدين

استعصاءٌ سوريٌّ مرتبط بتعليق الحلّ يلفّ جميع القوى. وقد أفلس هذا الاستعصاء لوصول القوى إلى خواتيمها ما دامت القصديّة الذاتية لهذه القوى؛ أي التضايف الذي لا ينقطع بين القوى المتضاربة وبين موضوعها، هي الركن الأساسي في الحالة السوريّة. مما يؤكد لنا -على النقيض مما يقوله الكثيرون- أنَّ مشروع بناء الدولة السوريَّة -كما أرادها المؤتمرون أو المتآمرون بالأحرى في عدة مؤتمرات- على أسس راسخة من الوحدة والعلمانية والوطنيّة هو مشروع مفلس سلفاً.

وهكذا نجد تزامن تجميد مفاوضات "جنيف" بين النظام وبين المعارضة مع إعادة حيي "نبل" و"الزهراء" الحلبيين إلى سيطرة النظام. وتلا ذلك تصعيد جويّ روسيّ غير مسبوق على محافظة حلب ولا سيّما ريفها الشماليّ؛ الشيء الذي أدى إلى نزوح عشرات الألوف في أسبوعين من القصف إلى تركيا، وما زالوا عالقين حتى اللحظة أمام معبر "باب السلام" وتحاول تركيا مساعدتهم داخل الحدود السوريّة وتلوِّح بإرسالهم مع غيرهم إلى أوروبا لتبتّزها بإغراقها باللاجئين، وتجعل منهم "وسيلة إيضاح" على الهمجيّة الروسيّة، وتُرسل للعالم من خلال مأساتهم أهمية دورها في الاستعصاء السوريّ لتبرير تدخلها البريّ بمعية السعودية.

وتهدد السعودية داعش براً وجواً تحت مظلة التحالف الأميركي ولكن مع تردّد أمريكي سيزيد السلاح للمعارضة السورية ومنها صواريخ غراد، فمتى تخرج السعودية على حلفائها وتنظر لنفسها كلاعب أساسيّ وليست تابعة أو ثانوية. وبالرغم من إعلانها قتال داعش فإنَّ هذا القتال يزعج الروسي والإيراني! فالروسي سيحرِّك ملف التدخل السعودي في اليمن، والإيراني سيزيد من دعمه للحوثيين إذا لم تستجب السعودية لدعوتها في العمل المشترك في سوريّة.

ويهدِّد "ميدفيد" رئيس وزراء روسيا بحرب عالمية ثالثة وبحرب باردة ظاناً بنفسه أنَّه ممسك بخيوط اللعبة، ومستهتراً بالقوى الأخرى. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا تحولت السعودية وتركيا وروسيا إلى التصعيد العالي طالما أنَّ لكل منها قوى على الأرض؟ أي لماذا استنفدت وكلاءها واضطرت للتدخل كأصلاء؟ لأنها أفلست طوال الفترة الماضية من إيجاد وخلق موازٍ وطني لها. فلا مبرر للتفاؤل بالتدخل السعودي البريّ لأنه ضدّ داعش وبرعاية أميركية، ولا تفاؤل سوريّ بالتدخل البريّ. وقد انخفض مستوى المراهنات حتى بات يقارب الصفر.

إنَّ السوريين إزاء اللاأدريّة السياسيّة والإراديّة في صناعة مستقبل سوريّة. فاللاأدريّة السياسيّة وتعليق الحل في سوريّة وتعميق استعصاء عسكريّ/سياسيّ في آن جعلت جميع القوى بحالة استعصاء في سورية لانعدام القطبيّة الدوليّة وتعميم الفوضى وكثرة القوى المتدخلة وتضارب أجنداتها. مرَّ النظام باستعصاء فاستدعى الإيراني، فمرّ باستعصاء فاستدعى الروسي وما بينهما من مليشيات طائفية. يمرُّ الروسي باستعصاء فيلجأ إلى القوة والتفاوض في آن...ليمرّ السعودي باستعصاء فيلجأ للتدخل البريّ وكذلك التركي، وهذا مؤشر على عدم نجاح مراهناتهم السابقة.

وما بيان مؤتمر ميونخ إلّا لتأجيل التدخل البري السعودي/التركي وفرملته مؤقتاً بشكل أساسيّ، وبالتالي إبقاء الاستعصاء السوريّ تحت السيطرة الحرجة. فلا تتدحرج الحالة إلى حرب عالميّة كما يحلو للبعض في مبالغاتهم الكلامية، ولا لحرب إقليمية كذلك. إنها خطوة على طريق ترتيب النظام العالمي من جديد بعد نقطة اللاتوازن التي عاشها في الفترة الماضية.

ولاسيّما أنَّ اجتماع ميونخ قد تدحرج من وقف إطلاق النار إلى وقف الأعمال العدائية، ومن فك الحصار إلى إيصال المساعدات جواً وبراً بشكل متزامن بين مناطق المعارضة ومناطق النظام، ودعا للعودة إلى التفاوض لتقرير مصير سوريّة.

والثابت في هذا الاستعصاء أنَّ لا أحد يعرف مستقبل سوريّة ومصيرها رغم محاولات جميع القوى المحمومة التأثير في مستقبلها بشكل أو بآخر؛ لأنَّ الظواهر الفوضوية لا تمتلك معدلاً وسطياً يمكن تنبؤ المستقبل بواسطته! فهل تمتلك ظاهرة ما في سوريّة معدلاً وسطياً لتغيرها؟!

لقد كان عالم الرياضيات "غاوس" صاحب "المنحني الجرسي" الإحصائي يعتقد بأن الظواهر المتغيرة والمتذبذبة والمضطربة وحتى الفوضوية منها، تمتلك معدلاً وسطياً للتغير، فيمكن دراسة هذه التغيرات استناداً إلى هذا المعدّل والتنبؤ بمستقبل الظاهرة بواسطته. ولكن، ما معدل القتل في سوريّة؟ ما معدل الاعتقال؟ ما معدل القتل تحت التعذيب؟ ما معدل اللجوء والنزوح؟ ما معدل تغير صرف الليرة السوريّة مقابل الدولار؟ ومثل هذه المتغيرات تُكذِّب "غاوس"؛ فلا أحد يعرف طالما أنَّ زمن الظاهرة مستمر ومتغير، وعند وقوف الزمن يمكن لنا معرفة معدّل التغير في الظاهرة ولكن لا يُمكننا هذا من معرفة التغير في المستقبل استناداً إلى هذه المعرفة. وبهذا يكون إفلاس هذا الاستعصاء.

لامخرج من هذا الاستعصاء إلّا بالسعي إلى الحلِّ حسب روح قرار مجلس الأمن 2254 والابتعاد عن تعليق الحل لمقاصد عدة. فيشعر السوريون بالضياع وهم عاجزون إزاء هذا الهراء. وكأن ما يحدث لهم هو من نواميس الطبيعة التي لا رادّ لها. وتغيب عنهم القصدية الكامنة في ثنايا القصف والقتل والتهجير والتدخل.. لأنها قصدية غير معقولة بتاتاً ولايمكن قياسها على ما سبق من أحداث تاريخية. فهي حالة جديدة كل الجدّة ويجب التعامل معها بعقل جديد وأدوات جديدة. فاحذروا تدحرج السوريين من طاولة المفاوضات إلى المزيد من التطرف والاستعصاء.

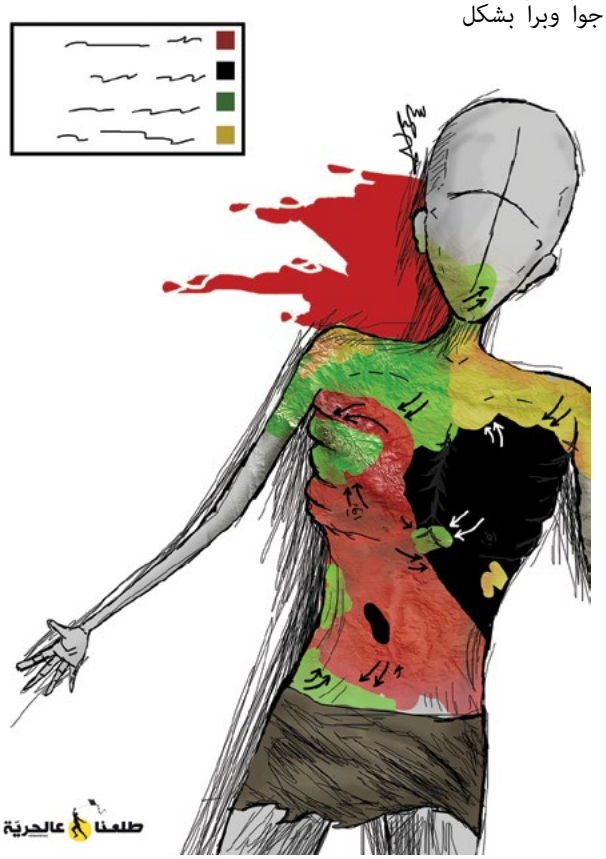

ماذا كان سيفعل لو قيض له قيادة المعارضة السورية ؟!

حوار مع لؤي حسين رئيس تيار بناء الدولة

حاورته ليلى الصفدي

ما هو برأيك الوزن الحقيقي لـ "تيار بناء الدولة" الذي تمثله، وهل لا زلت تمثل هذا التيار؟

نعم ما زلت أمثل التيار، أما وزنه على الأرض فلا يتبع لرأي ولكن لمعلومة، والمفترض أن من هو قادر على الحصول على هذه المعلومة هم إما مراكز دراسات أو وسائل إعلام صحفية قادرة على الوصول إلى جميع الجمهور السوري في جميع المناطق ومن جميع الطوائف وجميع التوجهات السياسية وكافة المستويات العمرية، فتختار عينات مناسبة لتطرح عليهم سؤالاً واضحاً من دون التباس عن وزن التيار. أو يمكننا حتى تحين لحظات ديمقراطية ويكون لدينا صناديق اقتراع محلية أو نقابية أو تشريعية.. فحينها يمكننا معرفة مدى وجود جميع القوى في الأوساط الاجتماعية.

لكن راج بين أوساط معارضة ثقافة منقولة عن طروحات النظام ترى أنه لا يجوز لمجموعة ما العمل في الشأن العام إلا إن كانت بحجم حزب البعث، وهذا بالتأكيد لن يكون متوفراً لأي مجموعة سياسية، هذا فضلاً عن أنه لا يمكن لمجموعة سياسية أن تولد مع أثر كبير في المجتمع السوري.

لكن تقديري أنه لا يوجد العديد من الأحزاب السورية عدا حزب البعث أكبر بكثير من تيار بناء الدولة السورية، فهو أكثر انتشاراً وأثراً من أحزاب معارضة كثيرة. لكن علينا دوماً استثناء الائتلاف الوطني وهيئة التنسيق؛ فهذان ليسا تنظيماً سياسياً بل جمهرة سياسية عابرة مرهونة بوجود النظام. فالكثيرون لا يعلمون أنه يوجد في الائتلاف غير تنظيم الإخوان المسلمين. ولن أذكر هيئة التنسيق فهذه أمرها أكثر تعقيداً.

نسب إليك ولزملاء لك في "التيار" الكثير من الكلام القاسي، بل وربما أكثر، بحق الثورة، كما أنك تعلن صراحة أن علمك هو العلم "الأحمر" ورفضت الوقوف أمام علم الثورة، ما هو موقفك الحقيقي من الثورة السورية؟ وهل تعتبرها بالفعل ثورة؟

لا أعرف كيف سأجيب عن سؤال مبني على معلومات مغلوطة. فإن قلنا إنه يمكنك أن تقولي أي كلام غير دقيق وتقولي إنه نسب إليك، لكن قولك إنني أعلن صراحة أن علمي هو العلم الأحمر وأرفض الوقوف أمام العلم الأخضر هو قول مغلوط جملة وتفصيلاً وينم عن أنك تجرين مقابلة صحفية وكأنها جلسة مقهى. لهذا اعذريني عن الإجابة عن سؤال غير محقق الصدقية إلى أن تأتيني بتصريح لي أقول إن علمي هو العلم الأحمر وأني أرفض الوقوف أمام العلم الأخضر.

أما بالنسبة للثورة فهل هي إن كانت كذلك بحاجة لسؤال الأشخاص إن كانت ثورة أم لا. فهذا يدل إلى عدم ثقتها بنفسها على أنها ثورة. فلا أظنك تسألين الناس إن كانوا يعتبرونك سيدة أم لا، إلا إذا كان لديك ما يخفي ملامحك كسيدة، وكذلك لا تسألين الناس إن كنت أنا رجلاً أم لا. فربما لو كانت الثورة ترى نفسها كذلك لكان السؤال: هل تعجبك الثورة؟ أو ما الذي لا يعجبك بالثورة؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تقرّ مسبقاً بوجود الثورة.

أما الموقف من الثورة فلا بدّ بداية أن تحددي عن أي ثورة تتحدثين فلدينا ثورات عدة في البلاد. لهذا كان عليك أن تحددي لي من هي هذه الثورة أي من قادتها وما هي أهدافها وما هو جسدها وأين يتموضع، بماذا تعدنا كسوريين، أو بماذا تتوعدنا، عليك أن تعيّنيها لي فأنا لا أتحدث عن أمور إطلاقية أو غير متعينة.

ما هو موقفك الحقيقي من النظام السوري في ظل ما يتردد عن ولاء طائفي مبطن في مواقفك السياسية؟ وماذا تقول لمن يعتبرك أداة للنظام بزي معارضة؟

أين يتردد هذا الاستبطان؟ وماذا يعني ولاء طائفي هنا، أهو ولاء للنظام مثلاً، أم ولاء للطائفة؟ فإن كان من يقول ذلك قد دخل باطني وتبين له هذا المخبوء فحقيقة عليك أن تسأليه هو عن ذلك وليس أنا.

إن كان هذا الولاء للنظام فهذا لا يمكن أن يكون مبطّناً، ولماذا يكون مبطّناً؟ هل هناك طرف في مواجهة النظام مخيف إلى درجة أني أخفي عنه ولائي للنظام؟ أم أني أكسب رزقاً أو مالاً أو جاهاً أو سلطة من هذا الطرف القوي فأظهر له غير ما أبطنه.

أقول لمن يعتبرني أداة للنظام: كيف لك أن تثبت لي أنك أنت لست أداة للنظام؟ هل فقط لأنك

قليل التهذيب فتشتم بشار الأسد بكلام بذيء، أم لأنك لا تجيد من السياسة سوى الشكوى والبكاء لتتكسب من دم السوريين؟ ألم تكن حتى الأمس القريب تدبك في ساحات البلاد محتفلاً بسلطتك عندما كنت أنت النظام وكنت أنت تقمعني وتضطهدني؟ ألست أنت من سرق مالنا وجهدنا عندما كنت ركناً من أركان النظام؟ ألست أنت الآن تتباهى بمرتبتك الوظيفية كوزير أو سفير أو ضابط التي منحك إياها النظام؟ ألست أنت تعتبر أن كل ما فعله النظام كان سيئاً إلا اعتمادك ركناً من أركانه؟ ألم تسمعي ياسيدتي عمن لا يزال متمسكاً باللقب الذي منحه إياه النظام، وأنا مثلي مثلهم أتباهى أيضا بما منحني النظام من مراتب؛ هي أني مجرد سجين للنظام لسنوات طوال ولمرات عديدة، وأنني ما زلت أحمل ندوباً على جسدي من تعذيب النظام قام به ربما بعض أبطال اللحظة الراهنة.

نعم أقول لهذا الذي يعتبرني أداة للنظام إننا سنحاكمه بنفس المحاكم التي سنحاكم فيها كل من حمل النظام يوما على كتفيه. فإن كنا نصمت عنه الآن وعن خدماته للنظام ولأجهزة مخابرات دولية أسوأ من النظام لأننا نريد أن نقلل من العثرات التي تعيقنا عن الإطاحة بالنظام.

ما معنى "التغيير مع الحفاظ على مؤسسات الدولة" والذي لا زلت تنادي به منذ بداية الثورة، ونحن نعلم أن النظام يستخدم حتى مؤسسات الكهرباء والاتصالات في حربه ضد الشعب، هل تتضمن هذه المؤسسات الجيش والأجهزة الأمنية مثلاً؟ وهل لا زلت ترى في مثل هذا الطرح واقعية أو عقلانية؟

لا أذكر أني قلت مثل هذه العبارة إطلاقاً. ولكني بالتأكيد مع الاحتفاظ بكل شيء في الدولة،

مؤسساتها العسكرية والأمنية والكهربائية والزراعية والاقتصادية والتعليمية وكل ما دفعنا نحن وآباؤنا ثمنه من جهدنا ومالنا؛ فهذه ملكنا لكن النظام استولى عليها واستغلها بطريقة ما لمصلحته. كما أني أريد الاحتفاظ ليس فقط بالقصور الجمهورية بل بالمؤسسة الرئاسية ذاتها.

كل ما على هذه الأرض يا سيدتي هو ملكنا نحن السوريين، بما في ذلك الطائرة التي تقصفنا بالبراميل المتفجرة وذاك العلم الأحمر الذي يعتبره البعض سذاجة أنه علم النظام بحجة أن قوات النظام تعمل تحت رايته، وكذلك نحن خرجنا طيلة الأشهر الأولى نتظاهر تحت رايته.

ألا ترى أن غالبية تصريحاتك تفيد النظام أكثر مما تفيد الثورة؟

لم أهتم يوماً بمن يستفيد من تصريحاتي أكثر أهو النظام أو الثورة. ما يهمني أن أحمي شعبي من أي اعتداء عليه أو أي انتهاك لحقوقه وحرياته وكرامته حتى لو جاء هذا الاعتداء تحت مسمى زائف على أنه الثورة. بوصلتي هي شعبي بمجمله دون أدنى تمييز على أساس الطائفة أو الدين أو الجنس أو العرق أو الموقف السياسي.

ومع ذلك إن كان النظام يستفيد من تصريحاتي أكثر من الثورة فربما لأنه أشطر منها، فقد استفاد من كل شيء أكثر من الثورة.

كيف تنظر إلى المواقف الدولية، وهل ترى اختلافاً جوهرياً بين مواقف الدول التي تسمي نفسها "أصدقاء الشعب السوري" من جهة، ومواقف روسيا وإيران من جهة أخرى؟

بلدي محطم وأنا بحاجة لإيقاف دماره ولست في رخاء يتيح لي أن أقيم مقارنات بين الدول. ولكن كل دولة تضر بشعبي لن أنسى لها ضررها هذا لاحقاً.

ما هي برأيك أهم الأخطاء التي وقعت فيها المعارضة؟ وما هي المواقف التي وفقت فيها؟

فشلنا في إنتاج معارضة بشكل عام، وما هو بين يدينا أغلبه صناعة دوائر دولية للقيام بمهام محددة في الأوقات المناسبة. لهذا فمن الظلم محاسبتنا كسوريين على طبقة المعارضة التي نُصِّبت لنا أو علينا، كما من الظلم لنا محاسبتنا على العنفيين الذين سيطروا على مساحات كبيرة من البلاد باسم المعارضة أو الثوار أو باسم مواجهة النظام.

فمن غير الصحيح أن نجلس ونقيّم أعمال ومواقف المعارضة السورية فهذا عمل من دون طائل. وإذا أردنا أن يكون لنا عملاً مجدياً على هذا الصعيد فهو أن نعمل لنطلق العشرات من التنظيمات السياسية التي ليس لها وزن حتى يمكننا من صنع حراك سياسي نحن بأمسّ الحاجة له إن كنا نريد بناء بلدنا.

فيما لو أوكلت إليك المعارضة قيادة المفاوضات مع النظام ومع الدول الأطراف المتدخلة في الصراع، وفيما لو امتلكت فعلاً سلطة القرار السياسي باسم الثورة والمعارضة، كيف كنت سترى الحل للأزمة السورية؟ وما هي القرارات والخطوات الفعلية التي كنت ستتخذها؟ والأهم كيف تتصور النتائج في ظل موازين القوى الحالية وإرادات الدول النافذة؟

نعم هذا سؤال يفيد البشر. هكذا يا سيدتي تكون الأسئلة الصحفية التي تريد تشكيل إضافة معرفية على مجريات الأحداث.

لو قيض لي ذلك سأنطلق من معادلات بسيطة، مثل هل ما زال يمكنني تقديم ضحايا أكثر، إن كان من القتلى أو المهجرين والمشردين في سبيل قتال مع النظام غير معروف النتائج أو المدة؟ هل باتت خسائري كسوري تقتضي مني التوقف عن ضرورة محاسبة النظام الآن إلى تأجيل ذلك إلى وقت لاحق، والعمل الآن على إيقاف هذا النزيف الذي لا يمكن لأي حل لاحق أن يعوضنا ما خسرناه. وهنا لا أتحدث عن القتلى بل عن الدمار وعن المهجّرين، إذ أنه من الصعب علينا استعادة أكثر من نصف اللاجئين إن أنهينا الأزمة الآن، فكيف إن تأجل الأمر لوقت لاحق.

بناء على ذلك سأنطلق من ضرورة العمل على إيقاف هذه التضحيات المجانية التي لم تغيّر شيئاً في موازين الصراع منذ مضي أقل من سنة على انطلاق المظاهرات. لكن هل يعني هذا الإيقاف إعادة إنتاج النظام، أو تمكينه من نصر صريح؟ جوابي هو لا. لكن هنا علي العودة إلى أهدافنا الأولى في المظاهرات وهي الحرية والمساواة والعدالة والكرامة. والعمل الجاد على تحقيق هذه الشروط خلال عملية تسوية ترضى بها الدول ذات العلاقة المباشرة في الصراع السوري.

فأنا أعتبر أن الأساس الذي يقوم عليه أي نظام استبدادي هو تمكنه من انتهاك الحريات العامة والحقوق المتعارف عليها لجميع المواطنين. لهذا في حال استطعنا اختراق هذه البنية للنظام عبر وضع قوانين تنص على قدسية الحريات ووضع جميع الموانع التي تحول دون انتهاك السلطات لهذه الحريات من خلال إقامة سلطة قضائية مستقلة عن السلطة التنفيذية بل وتكون أعلى شأناً دستورياً منها، وعدم إعطاء رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء صلاحية تشكيل مؤسسات أمنية تتبع له ويسميها الضابطة العدلية، إضافة لأمور من هذا النوع التي تضمن إطلاق الحريات عند السوريين، أظن أن ذلك يمكن أن يكون أساساً صالحاً لمرحلة انتقالية تحكمها سلطة محدودة الصلاحيات ومحدودة المدة الزمنية، يكون من مهامها تهيئة البلاد سياسياً وأمنياً لانتخابات تقبل بها جميع الأطراف.

لا بد لي منذ البداية من الانطلاق للدفاع عن حقوق جميع السوريين، موالين ومعارضين، والعمل على تأمين مصالحهم جميعاً، إذ أنه لا يجوز لنا أن نعتمد أسلوب بشار الأسد الذي يقول إنه ليس رئيساً لجميع السوريين، فنحن علينا إنتاج سلطة لجميع السوريين، هي تلبي مصالحهم وهم يلتفون حولها ويحمونها.

الأمر ليس بسيطاً في الحل أو الإجابة، فهو أكثر تعقيداً من أن تتسع له صفحات مجلة أو ينتجه دماغ واحد. ولكن يمكننا أن نعلم أننا ومنذ انطلاق تدويل قضيتنا بشكل صريح مع نهاية عام 2011 فقد صار عصياً على طرف أن ينتصر على الطرف الآخر، أو على الأطراف الأخرى بعد أن تعددت الأطراف المتصارعة. فباتت موازين القوى متعادلة، فكلما تلقت قوى المعارضة دعماً يتلقى النظام دعماً مقابلاً، والعكس صحيح إلا في الأشهر القليلة الماضية، وتحديداً بعد التدخل الروسي إذ حرمت المعارضة من الدعم وتُركت تتلقى هزيمتها أمام أعين الدول التي قالت إنها صديقتها.

عبارة ختامية: ما كان يمكن لبشار الأسد أن يصمد كل هذا الوقت لو استطعنا الحفاظ على السلمية أسلوباً في صراعنا معه. وما كان له أن يبقى كل هذا الوقت لو وجد بديل له. وما كان صار بنا الذي صار لو لم يهرب المعارضون وقادة المظاهرات إلى خارج البلاد تاركين الساحة والشوارع للنظام وحده.

لقد حققنا انتصارات مهمة في الأشهر الأولى ولم نحقق بعدها أي انتصارات مهمة، وما نراه على الأرض من وجود فصائل مسلحة فهذه حالة لن تدوم.

صمد النظام طوال هذا الوقت لأنه لم يكن في مواجهته كيان يمكن له أن يحل محله في حال سقط.

الربيع العربي.. أزمة الولاء والهوية
الثورة السورية نموذجاً

نذير صالح

أصيبت شعوبنا وما تزال بداء الاستبداد، الذي مسح كل شيء يخصّها. حتى كادت تبدو شعوباً بلا هوية، أو باتت في أحسن الأحوال تُنسب لحُكّامها. ففي سورياً، لن ننسى شعارات من قبيل "سوريا الأسد" و "جنود الأسد" وأشبال ومساجد ومكتبات وملاعب وجامعات ومدن الأسد!

وحين اندلع الربيع العربي كانت أولى غاياته هي الانعتاق من تلك التبعيّة، وكسر روابط الشعوب مع حُكّامها التي جعلها الاستبداد روابط حديديّة صُنعت بالنار والبطش لإخضاع إرادة الشعب لإرادة الحاكم وليس العكس!

وبطبيعة الحال، فإن كل بلد من بلدان الثورات له ظروفه وخصائصه التي يتفرّد بها، ويمتلك من المعايير الموضوعية ما جعل ثورته تأخذ مساراً في مآلاته يختلف كثيراً عن غيره من البلدان. وما يوحّد ثورات تلك البلدان اليوم ربما هو فشلها في إحراز (الانعتاق المفيد) من الاستبداد.

فباعتقادي، بقدر ما يمثّل مجرد اندلاع الثورة الشعبية منعطفاً تاريخياً في حياة المجتمعات، وبدايةً لوعي جديد بكل المعطيات والمفاهيم، فإنّ المسألة لا تنتهي هنا؛ بمعنى أنّ الانعتاق من الاستبداد لا يتمّ وينتهي بكسر الخوف منه.

فالمدقّق بما حصل في الحالة السورية مثلاً سيرى حدوث أزمة حقيقيّة في المجتمع السوري بخصوص تحديد هوية هذه الثورة؛ هل هي ثورة دينية أم علمانيّة، ثورة ضدّ الاستبداد أم ضدّ الفساد، ثورة جياع وكادحين أم ثورة تجّار، ثورة يسار أم ثورة يمين.. هل هي ثورة مؤدلجة منذ لحظة اندلاعها أم أنّها ولدت عفويةً بامتياز؟..

ولو عرضتَ سؤالاً على السوريين الآن بخصوص هوية ثورتهم ستلاحظ حدّة الجدل الذي سيحصل بين مختلف التيّارات والمعارضات والمنظّمات التي ظهر معظمها بعد الثورة. ويبرّر معظم الذين قالوا إنّ أزمة الهوية هذه طبيعية في مسار الثورات الشعبية -في الوقت الذي ما يزال فيه الاستبداد يضرب هائجاً كالثور- بقولهم بضرورة تحديد هوية الثورة كي تتضح ملامح ومرجعيّة الدولة التي ستفرزها هذه الثورة بعد انعتاقنا من الاستبداد. فصرتَ ترى كلّ تيار معارض يضع الهوية التي تناسب فكره للثورة كي يتسنّى له جعل هوية الدولة بعد الثورة على مقاس تياره ومبادئه، وبالتالي نشوب صراعات بين مختلف تلك التيّارات الثائرة التي وقعت بفخ منطق المُحاصَصة، ما زاد العبء حقيقةً على الثورة نفسها وأدخل البلاد في استقطابات لا تقل خطورةً عن نظام الاستبداد. وليس إضعاف مناعة الثورات ضدّ تحدياتها الكثيرة سوى واحدة من تلك المخاطر.

وإنّ أصل المعضلة باعتقادي ليس الجدل الحاصل لتحديد هوية الثورات من قبل قوى تصدرت المشهد بتمثيلها سياسياً واجتماعياً، فهذه الأزمة رغم خطورتها -بوصفها باتت عقبة إضافية تواجه الثورات- فهي النتيجة وليست السبب، فالأمر يخصُّ بصورة مباشرة الثائرين أنفسهم؛ ففي الوقت الذي دائماً يوجد أعداء محليّون ودوليّون للثورات لم ينتبه الثائرون إلى الوسائل التي سيتّبعها عدوهم لمواجهتهم.

وأكادُ أكون على يقين أنّ أعداء الربيع أحسنوا تماماً مواجهة الثورات عبر معرفتهم الدقيقة لماهية الوعي الجمعي المحرك لمجتمعاتنا والخلفيّات المعرفية والثقافية التي بُنيت انطلاقاً منها مختلف التيارات والأيديولوجيات القائمة. فمع الأسف يدرك الأعداء تماماً أنّ شعوبنا يقدّسون ولاءهم وانتماءاتهم لمرجعيّاتهم الفكرية أو الدينية أو السياسية أو القومية، وهذا التقديس يكون غالباً وراثياً وليس معرفيّاً، وبذات الوقت هي شعوب عاشت فترات طويلة محرومةً من التعبير عن انتماءاتها في كنف الاستبداد الذي حكمها بسيف الجهل. وبالتالي ومن خلال إذكاء هذا الولاء لدى كل التيارات الشعبية المشاركة بالثورة الواحدة في البلد الواحد المبتلى بعدو واحد، سوف يصطف كلّ ذي تيّار خلف رموز تيّاره، بَيدَ أنّ نظام الاستبداد سيظلّ متماسكاً وواحدًا في مواجهتهم.

وأعود لأنوّه هنا أن السبب ليس من قاموا عمداً بإذكاء شعور الثائر بضرورة الاصطفاف الأيديولوجي خلف رموزه السياسيين أو الفكريين أو الدينيين.

بل السبب يكمن في الثائرين؛ فمع الابتلاء الطويل بالاستبداد فقدت مجتمعاتنا ذاكرتها الثوريّة وانحسرت تماماً ثقافتها العملية في التغيير بشتّى أشكاله وأوّلها التغيير الذاتي، ولم يعد الإنسان الشرق أوسطي قادراً على انتقاء انتماءاته وفقاً لمنهج معرفي ومنطقي سيّما وهو يعيش في ظروف سُحق فيها الإنسان وقُطع لسان الحق وأصبح كالعبد في قصر السلطان الذي أصدر فرماناته التي قرّرت أنّ التفكير بدعة والرفض حرام!

وفي حالة كهذه من غياب تام للغة المعرفة وجوّ التربية المجتمعية الصحيّة، وفي وضع باتت المجتمعات رهينة لإرادة جلّاديها، فقد الفردً قدرته على التعامل مع انتماءاته مهما كانت طبيعتها، وبات لا يفكّر أصلاً بطريقة ترسم له شخصيته المستقلّة وتبني خلفيته الثقافيّة وتوجّهاته الفكرية، في وقت اجتاحت رياح الثورات المنطقة ولم تنتظر أحداً حتى يعالج ما أفسده الاستبداد في الفرد والمجتمع، الأمر الذي خلق عند الثائر أثناء نشاطه الثوري أزمةَ تقدير في توجيه ولائه بصورة حكيمة ومنسجمة مع مبدأ الثورات المناهضة للاستبداد، خصوصاً أنّ موقفه المبدئي رسمته عفويته الفطرية برفض الظلم بعيداً عن أية اعتبارات إيديولوجية، فوقع بشرك التخبط وهو يضع انحيازاته على سلّم أولوياته في خضم الثورة، فبتنا نشهد استقطابات ذات طابع أيديولوجي. وبات الثائر الذي دفعته عفويّته الإنسانية في البداية يقدم الولاء لجماعته الحزبية أو الفكرية أو العسكرية بقدر أكبر من ولائه للثورة نفسها، ظناً منه أنّ جماعته هي البوصلة صوب المسار الثوري الصحيح، وهذا ما جعل مستوى هشاشة الثورات عالياً حتى اللحظة في مواجهة الثورات المضادّة. ووقفت الثورات عاجزةً عن إصلاح نفسها وتنظيفها من مخلفات الاستبداد. وخلق بالضرورة أزمة هوية فشلت أغلب القوى الثورية في تحديدها بسبب (عمى الولاء) الذي حلّ عليها.

إذاً نحن أمام ضرورة ملحّة لإنقاذ الثورات، وهي الانعتاق من الولاء المؤدلج، والتحرر من الانحيازات المقولبة، والعودة بالولاء نحو الجهة الصحيحة.. الولاء للإنسان.

فلا انعتاق من الاستبداد ولا نصر للشعوب دون الانعتاق المبدئي من الولاءات العمياء، ودون توجيه ولائنا صوب الحق وصلب القضية، فالثورات الحالية من الضروري ألا تكون مؤدلجة وألا تحمل أيّاً من طبائع الاستبداد، وحين يكون ولاء الثوار للإنسان ستكون بلا شك هويةُ ثوراتهم إنسانيّة فقط، ترفض الاصطفافات المغلّفة وتمضي قدماً نحو هدفها لإنقاذ الإنسان رافعةً شعار: الولاء للإنسان.. والهويّة إنسانيّة.

يوميات ياسمين (3)

سلام الغوطاني

كفراشة تنتقل من زهرة الى أخرى، وبقلب تتدفق فيه أنغام عذبة، كان التفكير بخيارات سنوات عمري القادمة يقفز بي من حلم الى آخر بألوان زاهية، تحاول أن تلغي قلق الواقع الذي أعيش. شعرت أن حياتي بدأت بالتفتح بمجرد أن أنهيت امتحان الصف التاسع يوم الاربعاء، بفرح ويقين كبيرين بالنجاح.

مَرَّ على وجودي في منزل جدي والد أمي بمدينة دوما حوالي السنة والنصف، تخللتها زيارات متقطعة لمزرعة والدي القابعة على أطراف الريف الجنوبي المنسي لمدينة دمشق، دوما الشامخة الآن كانت تشبه فتاة تغادر سن المراهقة للنضج بين ريفها ومدنيتها، بين مزارعها وأبنيتها الحديثة. دوما التي منحتني شعوراً بالعلو على صديقاتي وأقربائي القاطنين ببلدتنا الريفية الصغيرة المنسية حيث عدد الابقار والدواجن يفوق عدد السكان، أفرحني أن يقولوا "صرتي يا ياسمين دومانية"، أبهجني انصاتهم لي وانا أحدثهم عنها، عن مدارسها ومطاعمها وبيوتها ورائحة الازدحام التي تشعرنا بصخب الحياة.

احساسي بالعلو منحني الثقة بالقادم من حياتي، رسمني بالمستقبل كسيدة مجتمع راقٍ، أدركت طريقي، وتلمسته مع نهاية امتحانات الشهادة الاعدادية، في ذلك اليوم وأنا عائدة الى بيت جدي، كان نبض قلبي يستولد في الطيران. استقبلتني جدتي بوجه عابس عصيّ على التفسير يعلن وقوعي وارتطامي على أرض قاسية كاسرة روحي قبل عظامي "عجلي ضبي أواعيكي وغراضك، ما معنا وقت، اتصل أبوكي وقلنا نجي بسرعة، الجمعة زفافك...".

وقفت أمامها بلا حراك، وبعينين مفتوحتين بذهول غادرتهما رموشي، بدأ وعيي يغيب، هي النهاية، هي موت أحلامي، وانكسار أجنحتي واسوداد ألواني. أحسست بتوقف قلبي وامتلاء جسدي بالبرودة. صرخة جدتي أعادت شهيق وزفير دون هواء، دون وجود. وبات اختفائي عنواني...

لوحة للفنان ديلاور عمر بعنوان "قصة لاجئة"

لملمت ملابسي وأشيائي وعجزت عن لملمة ياسمين، ومع كل قطعة ملابس أضعها بأكياسي كان ضياعي يتسرب من بين أصابعي كدخان يرسم شبحاً يشبهني، يخيفني لأنه أنا. ودعت كتبي، دفاتري وأقلامي كمن يودع نفسه، وجلست قليلاً في المكان الذي اعتدت الجلوس فيه وشريط حياتي يمرّ أمام عيني، لحظات الفرح والحزن والقوة والتعب، اصراري على النجاح، ولأول مرة أعرف الشعور بالوحدة، وحيدة.... وحيدة... رددتها، أدركت ما معنى أني لا أملك نفسي، وأنني كشاة تقاد للذبح.

غادرت دوما مع جدي وجدتي، والغصّة ترافقنا وتصنع صمتنا الذي دام طوال الطريق، الى منزل والدي. كان الجميع مشغولاً بالاستعداد ليوم الغد الذي هو زفافي، كنت أتابع تحركاتهم بنظرات تعبة، تائهة ومبهمة وكأن كل هذا لا يعنيني.

اقتربت مني أمي وبصوت عال كأنها توقظني: "شو بكي ياسمين بكرا عرسك، حركي حالك عنا شغل كثير.... يا حرام ابن عمتك، جهز لعرسو وعزم الناس، واشترى جهاز ودبايح وقبل العرس بيوم اختلف مع عروستو وصار بلا عروس، فكرنا انو تكوني انتي بدالها ويظل العرس ماشي".

وبفم قد غزاه الجفاف: "أنا.... مين ابن عمتي"؟

"ابن عمتك سعاد، محمد".

"ما بعرفو".

"طيب وابن حلال وكسيب".

"ما بعرفو".

"محمد جمعة ابن عمتك كان يشتغل بلبنان واجا من اسبوع ليتجوز ويا حرام شو صار معو"!!

"امي اسمعيني ما بعرفو..."

"خلص بكرا بتتعرفي عليه وبتشوفي، كثير طيب".

انتابتني قوة غريبة احتلت كياني وصرت أصرخ:

"لا لا لا ما بدي اتجوز".

"لك شو عبتقولي ولي"؟!

"عبقلك ما بدي اتجوزو".

قوتي تحولت الى جنون، هيستريا محمومة حركت كل جسدي ومع صرخة الـ"لا" كانت حركاتي غير الإرادية ترمي أغراض المطبخ، كسرت الكثير من الأواني، كنت أرميها لعل صوت تحطم الزجاج يبدّد وحدتي وعجزي وقلة حيلتي.

بدأت امي بضربي وهي تصرخ: "غضبن عنك يا فاجرة بدك تتجوزي"!! جثتي التي بين يديها كانت تتوسلها: "ببوس ايدك يا امي سمعيني، ما بدي، منشان الله، بتحبي الله، ما بدي..."، وتضربني وتضربني. لا أعرف كيف مضى الوقت وجاء الصباح، وكيف وصلت إلى غرفتي، ومن وضعني على سريري. كنت غير قادرة على الحركة، كالمشلولة، دخلت أمي ومعها كيس كبير، صوتها كان بعيداً وهي تقول: "قومي تحممي وهاي الكيس فيه فستان العرس والكندرة والاواعي الدواخل". بعد مرور وقت قصير امتلأ البيت بالناس، أحضروا "كويفيرا" لتساعد بمراسيم زفتي. بعد ان انتهت من شعري، لونت وجهي...

..... يتبع في العدد القادم

.. تتمة من الصفحة 4

سلبية كبيرة قد تنهي الثورة إلى حين"، لافتاً أن حلب في جزء من وطن أكبر وأرحب وليس لها خصوصية، مشيراً إلى أنها "آجلا أو عاجلاً ستكون مع بقية إجراء الوطن وحدة متماسكة تشبه وجهها التاريخي".

وحذّر أيضاً من أن تقسيم وتوزيع سورية "يُعَمل به خارجياً"، لكنه أجزم في الوقت نفسه، بأن "هذا المشروع وإن نُفِّذ فإنه لم ولن يدوم".

حلب أم سرايفو سوريا ضمن استراتيجية الحصار واللهاث وراء المعابر

أفرزت التطورات الأخيرة ما تريده الأطراف المتحركة اليوم بريف حلب الشمالي، فالنظام بارع في الحصار ولديه تجارب عديدة، والميليشيا الكردية تحركت نحو عزاز بعد ساعات من سيطرتها على مطار وبلدة منغ، وبالتالي التوجه نحو المناطق الحدودية وصولاً إلى معبر باب السلامة، الأمر الذي أكده المرصد السوري لحقوق الإنسان في وقت سابق.

بالتأكيد ستكونَ حلب على صفيح ساخن، والأيام القادمة حبلى بالمفاجآت، أمام واقع صارم ربما يُعيدُ للأذهان فترات المظاهرات الثورية السلمية وشعارات شعب صاح مراراً عاشت سوريا ويسقط الأسد..

تجارة اللاجئين غير المشروعة باللاجئين في تركيا 2

وائل موسى

بات للتهريب سوق ضخمة في تركيا، ولها حالتين؛ الحالة الأولى من التهريب هي لدخول تركيا بداية من الحدود السورية التركية وصولاً إلى الحدود الإيرانية، وعلى الرغم من أن إغلاق الحدود له أثر كبير في اضطرار الأشخاص للعبور بوسائل غير مشروعة، إلا أنني أذكر جيداً أثناء نشاط الحدود بشكل رسمي كيف كان التهريب كثيفاً، وخصوصاً بالقرب من البوابات الرسمية، ويتم من خلاله تهريب الأشخاص الذين لا يملكون جواز سفر بالإضافة إلى تهريب الشاي والمخدرات، بعد إغلاق الحدود ارتفعت أجرة تهريب الأشخاص لتتراوح ما بين 100 إلى 300 دولار للشخص الواحد، ورغم المخاطر المحدقة بالعابرين بالطرق غير المشروعة، إلا أن المهربين دائماً ما يدعمون أعمالهم بدعاية لتلطيف الحالة وتخفيف وصف المخاطر لتبدو كأنها رحلة مسير بسيطة وتمضي بسلام بمجرد تجاوز الشريط الشائك ببضعة أمتار فقط.

الحالة الثانية هي التهريب للخروج من تركيا نحو أوروبا، وهذا النوع من التهريب فيه أرباح خيالية حيث يدفع الشخص ما بين 700 إلى عشرة آلاف دولار للشخص الواحد وتختلف الأسعار حسب وسيلة النقل، ومن أشهر هذه الوسائل هو أرخصها (البلم) حيث يصعد في البلم الواحد حوالي 40 شخصاً ليصل معدل دخل المهرب على البلم الواحد ما يقارب 30 ألف دولار على أقل تقدير، وقد يصل في موسم الصيف إلى ما يزيد عن 90 ألف دولار، رغم أن تكلفة البلم لا تتجاوز 2000 دولار أمريكي فقط.

ليس البلم وحده مكسب تجار البشر والمهربين، حيث يضاف إليهم التهريب البري، ويكون عادة عبر دليل من أشخاص يتم تجهيزهم لعبور الحدود عبر الغابات، ويتخللها ركوب لسيارات نقل أو لشاحنات نقل غير مخصصة لنقل البشر، كتلك الشاحنة التي قضى فيها جميع اللاجئين اختناقاً، وتتراوح تكلفة التهريب عبر البر ما بين 700$ لتصل إلى ما يزيد عن 8000$ إن كانت عبر صناديق شاحنة مغلقة، أما التهريب الأكثر أماناً وأكثر تكلفة هو السفر الرسمي عبر المطارات بأوراق مزورة، حيث يتم تزوير تأشيرة دخول وغالباً ما تكون إلى إيطاليا أو صربيا، وقد تصل الكلفة إلى ما يزيد عن عشرة آلاف يورو.

رغم اختلاف وسائل التهريب وتفاوت المخاطر إلا أنها جميعاً تتشابه في النهاية باستغلال حاجة اللاجئين والمتاجرة بهم، وبحسبة تقديرية يتبين أن واردات المهربين سنوياً تتراوح ما بين 50- 100 مليون دولار سنوياً وهو رقم كفيل بتجهيز مشاريع واعدة لصالح اللاجئين.

أما عن مساهمة بعض اللاجئين في مثل هذه التجارة، ومن خلال البحث في أسواق المهربين يتبين لنا أن جل السماسرة هم أساساً من اللاجئين السوريين والعراقيين، ويشكل هذا التشابه في الجنسية واللجوء ما بين السمسار والراغبين بالهرب وسيلة مهمة جداً لإقناع زبائنهم على أن رحلاتهم آمنة ولا تحتوي على المخاطر، كما أن السماسرة يحاولون دائماً أن يظهروا على أنهم يقدمون خدماتهم مساعدة لأخوتهم اللاجئين حفاظاً على مصالحهم وسعياً لتأمين مستقبل أفضل لهم، ورغم كل الأكاذيب المختلقة والمكشوفة أمام الجميع على أنها مجرد طعم للإيقاع بالزبائن من اللاجئين، إلا أن اللاجئين لا سبيل لديهم سوى الخضوع لهؤلاء التجار.

تتراوح نسبة السمسار على كل زبون ما بين 50 إلى 100 دولار وكثيراً ما يستغل هذا السمسار علاقاته الاجتماعية بالأصدقاء والأقارب لتأمين المزيد من الزبائن وطمأنتهم على أنهم بين أيد معروفة ولن تشكل عليهم أي خطر، إلا أن الواقع له وجه مختلف، حيث تنتهي علاقة السمسار بالزبون عند مغادرته للمكان المتفق عليه لبداية الرحلة، وكثيرة هي الأخبار التي تصلنا عن إجبار المهربين للاجئين للصعود إلى البلم بأعداد كبيرة ومهما كانت الظروف حيث لا خيار آخر لدى اللاجئ ولا يمكنه التراجع حتى لو تم استخدام العنف معهم.

كل ما سبق ليس إلا جزءً بسيطاً من سوق التهريب والتجارة بالبشر غير الشرعية والتي لا تقتصر فقط على تركيا، والمؤلم أن يساهم فيها عدد لا يستهان به من اللاجئين أنفسهم إلى جانب تجار البشر من جنسيات متعددة، وجدير بالذكر أن شبكات تجارة البشر والتهريب لا تقتصر فقط على نقل البشر، إنما يتبعها خطف للأطفال واستغلال للقاصرين، وقد صدر مؤخراً تقرير من وكالة الشرطة الأوروبية يتحدث عن اختفاء أكثر من عشرة آلاف طفل أغلبهم سوريون.

يستمر نشاط التجارة بالبشر دون أي تدخل من الحكومات بشكل جاد لردعها، حيث تبدوا بالنسبة للحكومة التركية بمثابة ورقة ضغط على الاتحاد الأوروبي، في الوقت الذي يتجاهل فيه المجتمع الدولي بشكل متعمد أنه بإمكانهم وقف هذه المهزلة وإيجاد وسائل آمنة لاستقبال من يستحق اللجوء.

المهدئات والمسكنات هي الأرخص بين الأدوية

من خلال البحث عن توفر الأدوية ونوعيتها وأسعارها في المناطق الشمالية من سوريا، تبين لنا أن أهم الأدوية شبه مفقودة، وتحديداً منها الأدوية الخاصة بالأمراض المزمنة كالسكر والضغط والربو، بينما تتوفر بشكل عام المسكنات والمهدئات وبأسعار رخيصة، ويمكن إيجاد مثل هذه الأدوية خارج الصيدليات ليتم استخدامها بشكل اعتيادي، ورغم أهمية المسكنات والمهدئات في المناطق الساخنة نتيجة زيادة الإصابات بين المدنيين، إلا أن تداول الأدوية بين غير المختصين أصبح له وجه آخر ليتم استخدام هذه الأدوية بطريقة سيئة، وبشكل خاص بين الشباب العاملين في النقاط الطبية ممن تطوعوا دون سابق خبرة أو أدنى معرفة بالمعلومات الطبية.

تعتبر المسكنات والعديد من المهدئات من الأدوية التي لا تخضع للرقابة الطبية رغم احتوائها على نسب ضئيلة من المواد المخدرة والتي يؤدي استخدامها بكميات زائدة وبشكل مستمر إلى الإدمان، ولا يعتبر تداول الأدوية بشكل خاطئ هو نتاج فوضى الحرب القائمة في السنوات الماضية فقط، حيث يتوفر العديد من الأدلة على انتشار استخدام الأدوية كمخدرات يدمن عليها العديد من الشباب دون حسيب أو رقيب.

6 مليار دولار لعام 2016 من مؤتمر المانحين لسوريا

انتهت أعمال مؤتمر المانحين لسوريا في العاصمة البريطانية لندن، وتخطت التعهدات بالتبرعات في المؤتمر 10 مليارات دولار، منها 6 مليار دولار مخصصة لعام 2016، وقد تم تخصيص معظمها للمعونات الغذائية والمأوى، إلا أن أحد أسباب وصول حجم التعهدات إلى رقم قياسي هذا العام هو لتغطية النقص الحاصل في العام الماضي حيث لم يتم تأمين سوى 43% من 2.9 مليار دولار وهو ما سبق أن تعهدت فيه عدد من الدول المانحة لكنها لم تلتزم. كما يبدو واضحاً تركيز المانحين على دعم مشاريع التعليم للأطفال السوريين في البلدان المجاورة بعد أن تلقت الدول المانحة وعوداً من لبنان والأردن وتركيا في العمل الجاد لتقديم التعليم للأطفال، وفي هذا السياق بدأ مشروع إحصائي في مدينة غازي عينتاب يسعى لمعرفة أعداد الأطفال السوريين وتحديد أماكن تواجدهم للبدء في عملية تسجيلهم لتأمين انضمامهم للصفوف الدراسية، إلا أن هذه الخطوة ما تزال حتى الآن على نطاق ضيق بالنظر إلى انتشار السوريين في العديد من الولايات التركية.

عصابات الأسد تتقدم والليرة السورية تتراجع

حققت عصابات الأسد تقدماً ملحوظاً في الفترة الأخيرة في المناطق الشمالية من سوريا، وجاء هذا التقدم على حساب قوات المعارضة السورية بمشاركة جوية روسية مكثفة على محافظتي حلب وإدلب، وتعمدت القوات الجوية الروسية استهداف عدد من المستشفيات في حلب بالإضافة إلى مخيمات للنازحين بالقرب من الحدود السورية التركية، مما دفع أكثر من مئة ألف من المدنيين للنزوح مجدداً نحو الحدود التركية.

تزامنت اعتداءات الطيران الروسي وتقدم عصابات الأسد مع تراجع سريع في قيمة الليرة السورية لتتخطى حاجز ال 400 ليرة وتصل إلى 440 ليرة سورية مقابل الدولار الواحد، وحاول حاكم البنك المركزي (أديب ميالة) تبرير هذا الهبوط المفاجئ في قيمة الليرة السورية بأنه نتيجة لانسحاب (الإرهابيين) بحسب تعبيره، مبرراً أن كل عائلة تحتاج إلى ما يقارب 10 آلاف دولار للانتقال إلى أوروبا عبر تركيا.

تبرير ميالة تناقض مع الواقع كما تناقض مع وعوده السابقة، حيث سعى في تبريره للقول بأن آلاف اللاجئين العالقين على الحدود التركية (ممن هربوا من قصف الطيران الروسي)، قد حملوا معهم كميات ضخمة من القطع الأجنبي رغم أن غالبية النازحين خرجوا من مخيماتهم لإيجاد مناطق آمنة تأويهم، متناسياً وعده بأن سعر صرف الدولار لن يتخطى حاجز ال 400 ليرة سورية.

طلعنا عالحرية

لينة عطفة

ماذا لو أنّنا أغلقنا الأبواب على أنفسنا وانتظرنا معجزةً تشبه أحلام الأطفال، تفتح باب الحلم/الواقع لنشهد أننا تخلّصنا من الخوف والذكريات المريعة والكوابيس.

تأتي الأخيلة محمّلةً بماضٍ يهبّ من جهة لم نعرفها، ذات الماضي لكن مع الأشياء التي أحببناها فقط، في الصف الثاني الابتدائي توفّيت معلّمتي بسرطان الدم، كنت أحبّها، كانت نجمتي العالية وحين ماتت كانت أوّل مرّة أعرف فيها الموت، ماذا يعني ماتت؟! لن أراها مرّة أخرى!! فقط في قلبي، وماذا يعني قلبي؟

بقي قلبي مشروخًا وبقي الموت رعبي الأول لأنني لم أفهمه، لقد كان يعني لي أنّني لن أتمكن من عناق من أحبّ ثانيةً، يجب على معلمات المرحلة الابتدائية ألا يمتن، وإذا شطح خيالي صوب من أحبهم حدّ الجنون أقول: يجب على الحياة أن تسير بلا نهاية بلا موت، المرارة هي أنّ البشريّ لا يستطيع أن يثبت جدواه إلا من خلال موته!

إذن هل الثورات مثلنا لا تستطيع أن تثبت جدواها إلا من خلال عبورها أرض الموت؟ لم أعرف ثورة ماتت وعادت بديلتها بكيانها وأحلام أبطالها الذين رحلوا، كل ما أكتبه هذيان ودوائر حول دوائر، أحاول رصد ما يدفعني إلى العدميّة، أتذكّر الخوف من اسم الطاغية، صورته، صوته، عسسه، الأبنية الرسمية التي تعني سطوته، الوصول إلى النوم آمنين لليلة جديدة في بلاد الخطف من الشوارع، أغصّ حين أتذكر المظاهرات في سلميّة، كنّا نتصل بمكتب التاكسي: صوب قبّة تامر للمظاهرة!

صوت الحرية فاتحة كلّ شيء، الشوارع التي رأيتها منذ اليوم الأول في حياتي، مع صرخة الحرية كنت أراها للمرة الأولى، لم أكن أعرف ما هي حتى صرخت بها مع الناس في الشوارع، إنها قبل كلّ شيء الصوت، إذ إننا نكون في عزلة الأرحام ونخرج للعالم فنصرخ، شهقة الحياة أولى بصمات كياننا، كأن الصوت شرطه المخالطة التي هي أسّ الحريّة، لذا فإن الاستبداد يضعنا في هيولاه معزولين عن كلّ شيء حتى عن ذواتنا لنخرج مسوخًا أو نبقى فيها إلى الأبد! حين نكون تحت وطأة البطش نلوذ بالغيب والإنسان لوّاذ قبل أن يكون بطشٌ، فكيف به وهو يذوق مرار القهر في كلّ نفس من أنفاسه؟!

لقد سمعت القصص التي عاشها الإنسان السوريّ، كانت الصور مفجعة والتفاصيل رهيبة لدرجة أنه لم يخطر لي يومًا أن أكتب عمّا سمعت ورأيت، دومًا شعرت أن اللغة أقلّ أمام الكارثة، لكنني لطالما سألت نفسي هل كانت البشريّة دومًا تعيش أهوالاً كهذه؟ وإن عاشت، فلماذا بعد خمسة آلاف عام من الأبجديّة لم نجد طرقًا نوقف بها هذا العنف الجامح؟! هل صحيحٌ أنّ العالم كلّه سيدفع ثمن مآلاتنا نحن السوريين؟ حين أردّد ذلك بيني وبين نفسي أشعر بالعدل لكن هذا ليس عدلاً ولا سياقًا صحيحًا، لا نريد مآلات تكسرنا، ولا أريد أن أكذب على نفسي وأقول إن العالم سينكسر إذا انكسرنا، ببساطة، ثورتنا جعلت عزلة العالم أوضح، إننا لا أحد، لكنّنا نريد أن نكون فحسب، وحين يكون كلّ شيء ضدّ تحقيقنا شرطنا الإنسانيّ بالحياة أوّلاً ثم الحرية، فذلك يعني أن البشر عبر كلّ ما اخترعوه وابتكروه وقالوه لم يجدوا حلًا للإشكال الإنساني الأول في الوجود وهو الخوف!

يجتمع رجال السياسة على هذا الكوكب ليتباحثوا حلّ قضيّتنا، وإننا إذ نعلم أنّهم فقط يضيّعون الوقت غير عابئين بكل ما رأوه و يرونه من مآسٍ، فإنّ حالنا كحال الفلّاح العجوز حين مرضت ابنته وقال الطبيب له لا دواء لها إلّا أن تحبل، فزوّجها لأوّل رجل قرع بابه وكان نصابًا، ديوثًا، نذلاً، وعندما عاتبه الناس قال: لا أريدها أن تموت وشفاؤها في الحبل، فلتحبل وتشفَ ولو حبلت من بغل!

وإننا نقول لأوباش العالم وثعالبه الذين اجتمعوا على مدار السنوات الخمس المنصرمة، لا نعرف أين ستذهب بنا خطانا لكنها لن تعود بنا إلى ما قطعناه، نعرف أن لا منجاة لبلادنا إلّا أن تحبل ثورتنا وتنجب الخلاص ولو حبلت منكم!

حروب عظيمة أشعلها تافهون

نبيل شوفان

يبدو أن طبول الحرب ما تزال مقروعة منذ الحرب العالمية الأولى ثم الثانية وحتى اللحظة، وما تزال كرة النار تتدحرج من بلد إلى آخر، سباقٌ محمومٌ ومريض من أجل التسلح لم يبدأ بصناعة القنبلة النووية، ولم ينته في محاولة السيطرة على البلاد والعباد عبر دكتاتوريات مقيتة أهلكت شعوبها وأماتتها سريرياً لأجيال. اليوم تثور الشعوب، وتلتقط أقطاب الحروب التقليدية أنفاسها، تلعب لعبة الموت في سوريا وأهلها؛ لتكون هذه الحرب بكل قذاراتها مجرد إرهاصات تشكل قنبلة، أو قدراً لطبخة فاسدة، وناراً توشك أن تنفجر بوجه العالم؛ فكل أدوات الموت على أهبة الاستعداد وكل طباخي الحروب عبثوا بثورة نشدت الحرية.

الوجوه ذاتُها -تقريبا- مع اختلاف بسيط في التحالفات تدق ناقوس حرب ثالثة، ولعل مكابرة أوباما تاريخية وليست طارئة فقد دخلت الولايات المتحدة للحرب العالمية الأولى في شهر أبريل 1917، بعد سنتان ونصف من جهود الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون في إبقاء الولايات المتحدة مُحايدة خلال الحرب العالمية الأولى بعد تعهده في الانتخابات أن تبقى الولايات المتحدة على الحياد، ثم كانت هي من حسمت الحرب، وتكرر التأخير في الحرب العالمية الثانية حتى حادثة بيرل هاربر وإعلان فرانكلين دي روزفلت دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء وأيضاً حسمت الحرب.

تبدو أمريكا اليوم ضعيفة هزيلة خائفة ومتربصة، وتبدو روسيا في محاولتها إثبات نفسها كقطب قوي، وغسل ما يعتبره بوتين (عار هزيمة تفكك الاتحاد السوفييتي) -الذي حسمته أمريكا أيضاً- ويهوج قزم هتلر كدبّ منفلت لا يجرأ أحد على محاسبته، ومع أنه من المفترض أن تدور رحى الحرب العالمية الثالثة في الفضاء؛ فنحن لا نعرف ما الذي حول حرب النجوم التي تحدث عنها الرئيس الأمريكي رونالد ريغان إلى حرب ضدّ السوريين وعلى أرضهم.

قال لي رئيس تحرير إحدى الصحف المغاربية، بعد خروجنا من إحدى حلقات النقاش على تلفزيون فرنسي إنه مستغرب ومتعجب من ثورة السوريين على بشار الأسد وأنه لا يرى أسباباً مقنعة للثورة، وإنما مؤامرة كاملة الأركان على بطل قومي وذكي، متحججاً هذا المغربي، بأن حرباً عالمية ثالثة تكاد تشتعل بسببه، وينسى الأخ الخمسيني الذي أكل رأسه الشيب والذي من المفترض أن يكون على درجة مقبولة من الثقافة التاريخية أنه في عام 1859 دخلت القوات الأمريكية في مواجهة مع كندا بسبب حادثة إطلاق نار على أحد الخنازير، وأنه ما بين سنة 1879 و1883، اندلعت حرب بين إسبانيا وتشيلي من أجل براز الطيور، وأن الطالب الصربي المختل عقلياً والمتعصب قومياً "الأهبل" الذي اغتال ولي العهد النمساوي جلب الويلات للعالم وأشعل الحرب العالمية الأولى التي أدت إلى 16 مليون قتيل من الجنس البشري، ولا أعتقد أن الرجل المغربي ومثله مثل الكثيرين من أغبياء القومجية الأسدية القبيحة يعلم أنه في عام 1925 اندلعت حرب بين اليونان وبلغاريا بسبب كلب.. أعزكم الله!

في النهاية لقد ربط ابن خلدون بين الغزاة والطغاة بشكل بسيط ومفهوم وحقيقي؛ حين قال الطغاة يجلبون الغزاة في كل الأحوال، إما يتدخل الغازي لنصرة الطاغية وإما بحجة نصرة الشعب على طواغيته. لكن في الحالة السورية الفريدة، لا أمريكا غزتنا بذريعة إنقاذنا من الطغيان، ولا روسيا ستستطيع بغزوها إنقاذ الطاغية من الثوار.

إجابتي لرئيس تحرير الصحيفة المغاربية لم تكن بذات التفصيل ولا ذات الحقائق فالرجل يؤمن بنظرية المؤامرة ولن تنطلي عليه حقائقي، اكتفيت بتذكيره أن المرء يستطيع أن يكون مقاوماً وممانعاً وبطلاً دون أن يدمر الأرض والشعب والتاريخ والمستقبل.

نشرة ثقافية
سوريون يحصدون جوائز ويحققون نجاحات

طلعنا عالحرية – القسم الثقافي

"سماء قريبة من بيتنا" رواية سورية في القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية

أُعلنت القائمة القصيرة للروايات المرشّحة لنيل الجائزة العالمية للرواية العربية للعام 2016. واشتملت القائمة على ست روايات، وهي: "نوميديا" للمغربي طارق بكاري، "عطارد" للمصري محمد ربيع، "مديح لنساء العائلة" للفلسطيني محمود شقير، "سماء قريبة من بيتنا" للسورية شهلا العجيلي، "مصائر: كونشرتو الهولوكوست والنكبة" للفلسطيني ربعي المدهون، و"حارس الموتى" للبناني جورج يرق. وجرى الإعلان في مؤتمر صحفي عُقد في النادي الثقافي في مسقط، سلطنة عُمان، بحضور لجنة التحكيم الخماسية، والتي ترأستها الشاعرة والناقدة الإماراتية الدكتورة أمينة ذيبان. وتتحدث رواية "سماء قريبة من بيتنا" عن يقظة الذاكرة السورية ووجعها؛ تستعيد الألم الشخصي وتطل منه على ضمور الجسد بنبرة أنثوية خافتة لا تفقد بطلتها الأمل في النهوض من جديد. وقد شاركت العجيلي في ورشة الكتابة الإبداعية "الندوة" التي تديرها الجائزة لتشجيع شباب الكتّاب الواعدين في العامي 2012 و2014. وكانت قد كتبت قسما من روايتها "سماء قريبة من بيتنا" خلال تواجدها في ندوة عام 2014، وساعدتها تجربتها في الورشة على إتمام كتابة الرواية.

أحمد باشا يحصل على منحة المورد الثقافي عن مشروعه "العبور"

حصل مشروع "العبور" للكاتب السوري أحمد باشا على المنحة الإنتاجية لمؤسسة المورد الثقافي 2015– الدورة الثانية وذكر موقع المورد أن المشروع عبارة عن مجموعة قصص قصيرة يشترك معظم أبطالها بأن البحر المتوسط كان طريقهم إلى أوروبا، أو أنهم في طور التفكير في ذلك، سواء مروا بالطائرات فوقه أو عبروه بمساعدة المهربين، بعض الأحداث مستوحاة من قصص واقعية لأناس نجحوا أو فشلوا في العبور إلى بر الأمان. العبور هو عبور بين حالتين: الأولى تجتمع فيها تفاصيل حياة السوريين الدقيقة خلال الحرب الطاحنة، والثانية هي القارة الغريبة التي وصل إليها عدد من أبطال الحكايات بواسطة "البلم"، ثم مشوا طويلًا مع العراقيين والأفغان والأفارقة من اليونان حتى أوروبا الحلم

عبد الله غباش يبدأ مشروع موسيكاه في ألمانيا

أعلن الفنان السوري عبد الله غباش بدء مشروعه المشترك "موسيكاه" مع الفرقة الألمانية "Cu-erdas Salt Anda" في ألمانيا، الذي يهدف إلى حوار الموسيقى الشرقية مع الغربية. عبد الله أقام ثمان حفلات موسيقية خلال الخمسة أشهر التي قضاها في ألمانيا بعد وصوله إليها في أيلول العام الماضي، يواصل عمله الفني ورسالته، ويقول لطلعنا عالحرية: "أؤمن بالحوار الموسيقي أكثر من دمج الموسيقى الشرقية والغربية، بذلك تحافظ كل موسيقا على هويتها وخصوصيتها" وكان عبد الله منذ خروجه من سوريا قد أصدر ألبومين موسيقيين، وكان له برنامج إذاعي ساخر على إذاعة صوت راية السورية.

كرونولوج القامشلي لدلير يوسف

أعلن المخرج السوري دلير يوسف عن فيلمه الجديد "كرونولوج القامشلي" وهو فيلم وثائقي قصير (20 دقيقة) يسرد أحداث الثورة في مدينة القامشلي ابتداءً من العام 2011 وصولاً إلى الفترة الحالية والعمل ضمن نظام الإدارة الذاتية- معتمدًا على مقابلات مع إعلاميين وناشطين وعاملين في المجتمع المدني وفاعلين في المدينة. كما يظهر الفيلم جانباً من شوارع المدينة ومظاهراتها. الفيلم من إنتاج فريق "حكاية ما انحكت" بدعم من الاتحاد الأوروبي والإشراف العام لمحمد ديبو، الموسيقى

لعيسى فرحان، ومن إنتاج العام 2016، جدير بالذكر أن دلير يوسف كاتب ومخرج من سوريا، أخرج عددًا من الأفلام السينمائيّة منها: "أمراء النحل" و"منفى" و"لعب" و"بيتان وحكاية" و"ملامح دمشقية" وله كتاب مطبوع بعنوان "حكايات من هذا الزمن" صدر في العام 2014 - بيروت. يقيم حاليًا في برلين- ألمانيا.

كواليس

سرى علوش

هكذا تموت الذكريات! حين يمسك أحدنا بالفأس ويضرب عنق الحب فيقطع رأسه، ويهيم الآخر متسخًا بدموعه الكثيرة؛ ينظر إلى قلبك المصنوع من الخشب ويفكر ماذا يصنع الآن، وكيف سيتخلص من التحف التي صنعها لك، وصورنا التي علقها في كل زاوية من العالم، وأصنامك التي عبدها ناسيًا أنك في النهاية من حجر، وكلماتك التي حفظها على كثرة ما رددتها عليه، والتفاصيل التي عاش فيها طوال ثلاثة أعوام وكلما كان يغرق فيها كنتَ تخرج منها وتترك له الوهم خلفك. هكذا تموت الذاكرة! لا بطلقة مسدس، ولا بطعنة مباغتة حين تستل سيفك لتغرزه في صدر الحكاية. تموت شيئًا فشيئًا، خيبة وراء خيبة، وساعة بعد ساعة، ورصيفًا تسلكه بعد رصيف؛ وحين نراها على سرير الموت نشهق من الصدمة؛ وكأننا لم نختبر النهايات قبل اليوم.

هكذا تموت الذاكرة! حين أسألك عما حدث قبل عامين فتجيب باقتضاب من لا يتذكر، أو لا يبالي! الذاكرة التي تتألم لا تنفع معها المسكنات ولا يسكت صراخها مخدر. والذاكرة التي انشق قلبها من امتلائها بنا لا ترتقها إبر الخياطة ولا تصلحها مشارط الجراحين. والذاكرة التي تنهشها محاولات النسيان الكثيرة للخروج على طغيان عاشق جاحد يقتلها في النهاية سرطان الكره الذي يصيب الحب ويأكل خلاياه بقرف من لم يعرفه لينقذ في النهاية جسدًا سليمًا للتراب المنتظر.

أنت لم تحبني قط! ربما أحببت قبلي امرأة كانت تحمل اسمي نفسه وهجرتك فاعتقدت أنك قد تحييها فيّ وأنا صدقت حيلتك، أو ربما أخطأتُ في العد إذ كنتُ أتلمس أضلاع صدرك حين مارسنا الحب لأول مرة؛ فاعتقدتُ أنك اكتملت بي، وأن الضلع الذي كان ناقصًا عاد إلى مكانه سالمًا وخدعني ظلام الغرفة. أنا ما اخترت أن أحبك قط! لكن الحب جرني من قدميّ العمياوين وقادني لأقع بين ذراعيك فريسة لأنياب غرورك الحادة كسكاكين اللصوص التي يحملونها لإخافة ضحاياهم؛ غرورك الذي كان صغيرًا وكبر على يديّ، ربيته كما ربيت الريح على كتفيك، وأرضعته روحي التي كانت تضمر كلما طال شبرًا، علمته المشي والركض حتى لم أعد أستطيع اللحاق به، وحين أصبح رجلاً هجر أمه وغادر حزنها.

أنا الغريبة يا غريب، لا يوجعني غدرك، بل يشطرني امرأتين؛ إحداهما تلتمس لك العذر والأخرى تضمر من القهر. لا يقتلني ظلمك، لكنه يشظيني كلوح زجاج سقط لتوه من علو وتناثر على البلاط الأبيض جارحًا حتى نفسه. أنا الغريبة يا غريب؛ تزوجت طيفك البكر وأنجبت منه أمنيات كفيفة لم تر النهار يومًا، ولم تهمس في أذن الشمس بأسرارها أو أسمائها.

ثلاث سنوات بلياليهن حفظت فيها أسماءك وأحلامك وساعات نومك وأصدقاءك ووجوه البنات اللواتي تغازل فتنتهنّ والسراب الذي تسابقه ولا تصل! ثلاث سنوات عرفت فيها كيف يصبح الغرور بطولة، والقسوة رجولة، والتخلي نجاة، والعاطفة ضعفًا، والحب خرابًا. ثلاث سنوات مرت وكأن عمري قبلها كان حكاية يرويها لي الآخرون فأبكي تارة وأضحك تارة، دون أن أعي الصلة التي تربطني بها أو أعير اهتمامًا لتفاصيلها.

لا تكمن الذاكرة في المواعيد والأماكن، ولا في أشياء يخزنها العقل ويحتفظ بها ليواجهنا بها. الذاكرة روح تتعرف إلى روح أخرى وتميزها. الذاكرة رائحة تعرفها أنفاسنا في زحمة روائح أخرى كثيرة. الذاكرة خيط رفيع شفاف لا يُرى، يربطنا بالآخر ويوصلنا إليه كلما فقدنا الطريق. الذاكرة آثار أصابع أحدهم على أجسادنا، لا يمحوها زمن ولا يوقف النزيف الذي خلفت كيٌّ أو حريق. الذاكرة رجل وامرأة يتبادلان في كل قبلة أعمارهما السابقة؛ وحين يهجر أحدهما الآخر يذهب وحده ويترك كل ما حدث قبل الآن شاهدًا على مروره، وخنجرًا مسمومًا في ظهر المهجور، لا هو يقتله، ولا هو يقتل ما يعرفه عمن مضى.

هكذا تموت الذاكرة إذن! حين أضع حزنك في مزهرية أمام شباك غرفتي الوحيد، وأحبه حتى أنزعه من قلبك، وحين تبدد حزني بضحكات ساخرة وأصوات لا شكل لها، لكنها تصر على هزيمتي أمامك. هكذا تموت الذاكرة! حين أستيقظ باكرًا ذات صباح يربطني بك وأبكي، وحين ينتصف النهار وأنتظر، وحين يأتي الليل بلا رنين هاتف عابر أو رسالة نصية قد تعيد ترتيب الفوضى التي أحدثتها خيانتك، وحين أتناول حبوبي المنومة لأغفو دون أن يحدث ما يجعلني أطمئن إلى الغد، وأفسر أحلامي الكثيرة المتراكمة عنك ولا أخاف المعنى. إن امرأة لا تعرف حدود قلبها ستعبر به الأسلاك الشائكة وتعود دونه!

هكذا تموت الذاكرة!

حين نلعب الورق كل يوم ونلتزم بقواعد اللعبة ويصبح من الضرورة أن يخسر أحدنا حتى يربح الآخر. لنبتسم لصورنا القديمة إذًا، ونودع أنفسنا وابتساماتنا الواضحة، ودموعنا التي لم نخلدها بلقطة معينة، بل تركناها تنتظرنا خلف الكادر، وحبسنا صوتها في كواليس القلب، حيث لا يمكن أن نلتقي بعد الآن.

التجليّات الأخيرة لغزالٍ حجازي

محمد أبو جاسم

"سأغمض روحي وأحلم بالبدو فيها
أبكّةُ تلك؟
أرى عندها -كلّما غضّ قلبي نبضي عني-
أرى سدرةً في عقيق
سألعق عن سكّر الرمل ريقي"

ينام غزال على حزنه
تلك باديةٌ خاويهْ
ولا عينُ ماء هناك
ولا غيمةٌ
ولا شجرٌ طيّبٌ أو خبيثٌ
ولا أمٌّ استودِعت في القفار
لتسعى وتبكي
ينام غزال على حزنه
تلك باديةٌ خاويهْ
عسى حاصبٌ تكفأ الوقت فوق الغزالْ
عسى سكّر الرمل يأخذه في الخيالْ

"مضى زمنٌ من لغاتٍ عجافٍ
على رحلة الصيف
لا وطئ الدارَ أهلُ البلدْ
ولا أوقد النار فيها أحدْ
أصاب النعاس الخلائقَ
والنوم يمسح بالماء قلب الحزانى
ويسقي العطاش
وينبت في الروح زرعًا
ويفتح فيها عيونًا دوافقْ
أصاب النعاس الخلائقْ
فيمّمتُ روحيَ شطر السماء
وقلّبت وجهيَ فيها سدى
قطرها طيّبٌ مشتهى
غضّة حلمة المنتهى
دار قلبي بها
واستدار المدى"

***

ينام غزال على حزنه
تلك باديةٌ خاويهْ
ولا الريح حكّت بأسنانها الباديهْ
ولا الليل ألقى بنجم على قريةٍ خاويهْ

***

"تموت على أمسها الباديهْ
تموت القرى الخاويهْ"
يقول الرعاة وأهل القرى
"ويخرجنا المحل من أرضنا
ويخرجنا الطاغيهْ"
كذلك ينكفئ الوقت فوق القرى
كذلك ينكشف الوقت باديةً من هباءْ

***

"سأغمض روحي وأحلم بالناس والماء
لم يمّحي رسم قريتهم بعد منّي

أليس الذي تحت رأسي
رمادٌ لأمس؟
سأدفن فيَ لجّة الحلم نفسي
عسى زمنٌ من قصائد أخرى
يمر ببادية الحزن يومًا
مرور الهباءْ"

السلّ.. تهديد يعود بسبب الحصار

هيثم بكّار

يعتبر مرض السل (التدرن) السبب الرئيسي للوفاة بعد مرض الإيدز حسب منظمة الصحة العالمية. وبفضل التطور التعليمي في المجال الطبي وإيجاد علاجات بالمضادات الحيوية قلت نسبة الوفيات إلى حد كبير.

لكن بفضل نظام الأسد وسياسته بقتل السوريين وحصارهم في عموم مدن وبلدات سوريا والغوطة الشرقية خصوصاً، انتشر مرض السلّ بسبب توفر عوامل وظروف حضانة الفيروس.

الطبيب أنس من المكتب الطبي لمدينة دوما وما حولها قال:

"داء السلّ هو مرض التهابي، ومشكلته أن علاجه طويل الأمد، تشرف عليه أساساً الجمعية العامة لمكافحة السل؛ وهي جمعية تابعة للأمم المتحدة، ترسل الأدوية وتشرف بشكل مباشر على العلاج، حتى إنها تأخذ أسماء المرضى وتاخذ توثيقات العلاج وتضع برامج العلاج، وهذا الأمر ليس في سوريا فقط بل في جميع أنحاء العالم".

ويضيف د. أنس: "السلّ لديه ميزة؛ الجرثومة السلية نسميها (عُصية السل) هي جرثومة ضعيفة، مشكلتها أننا إذا أخذنا العلاج لمدة شهرين -مثلاً- ثم أوقفناه تطوّر نفسها ضدّ العلاج؛ فلا تستجيب له".

وعن مراحل علاج مرض السل وظروف حضانته وانتشاره يقول د. أنس: "علاج السلّ يحتاج من 6 إلى 9 أشهر للشفاء التام، في حال وجدت ظروف الاستشفاء من أدوية وغذاء وبيئة".

لكن الحصار ساهم بشكل مباشر في ازدياد أعداد المصابين في الغوطة الشرقية من عدة نواح، نجملها كما فهمناها من د. أنس:

أولاً: الحصار مع القصف أجبر الناس على النزول إلى الأقبية، وهو مكان فيه رطوبة لأن الشمس والهواء لا يدخلانه، ويضطر سكان البناء جميعهم للنزول، ويكون العدد كبيراً جداً والمكان صغيراً، وبالتالي ينتقل المرض بين الأطفال والناس.

ثانياً: التغذية السيئة التي فرضها الحصار ساهمت بضعف المناعة عند الناس وازدياد عدد المرضى.

ثالثاً: الاعتقال؛ فهنالك عدد كبير من المعتقلين يخرجون مصابين ولكن لا تظهر أعراض مرض السل مباشرة ويتم التشخيص بعد مدة، ويكون المرض قد انتشر بين الناس.

ويؤكد الطبيب أن "القصف المستمر أجبر الناس على السكن في أماكن بعيدة عن الشمس لفترات طويلة، والتعرض للشمس هو أحد أهم وسائل المساعدة للقضاء على السلّ وهذا غير متوفر".

وبحسب الطبيب أنس فأن أدوية السلّ توزع حصرياً عن طريق جمعية مكافحة السلّ، وتوزع عن طريق النظام.

ويضيف د. أنس: "أدخل الهلال الأحمر كميّات من الأدوية، وحالياً هناك جزء من الأنواع انقطع تماماً، وإذا طورت عُصيّة السلّ مناعتها ضدّ الأدوية التي يستخدمها مرضى السل، ستسوء حالتهم وبالتالي يتأثر العالم كافة، وليس الغوطة فقط. طبعاً هذا الأمر لن تظهر نتائجه خلال فترة قريبة، إنما ستظهر المضاعفات على المدى الطويل، وبالنهاية سوف تصل هذه الجرثومة المقاومة للأدوية للعالم كله، وسوف يضطر العلماء لإنتاج أدوية جديدة ضدّ السلّ".

وعن عدد مرضى السلّ والأدوية المتوفرة يضيف د. أنس: "لدينا في الغوطة 150 إلى 160 مريضاً، ويتم تشخيص من 7 إلى 10 شهرياً كمرضى جدد، كما سُجلت حالات شك ليست مؤكدة 100/100 فلم يسعفنا الوقت لإجراء تحاليل. كما أنه لا يوجد إحصائية دقيقة للأعمار، ولكن معظمهم من الشباب. أما الدواء فهناك نوعان ثنائي ورباعي؛ الثنائي متوفر أما الرباعي فغير متوفر".

وبعد مناشدات عديدة أطلقها المكتب الطبي منذ شهرين، وهي مستمرة إلى الآن، لمنظمة الصحة العالمية والمنظمات الدولية والأمم المتحدة لإدخال الأدوية والمساعدات الإنسانية. أعلن الهلال الأحمر العربي السوري- شعبة دوما يوم السبت 13 شباط عبر صفحته على الانترنت عن دخول 4 سيارات تحوي على حليب ولقاحات، ولم تحو على أدوية السلّ، وتم تأجيل دخولها "حتى إشعار آخر" بحسب البيان.

وكانت الهيئة العليا للمفاوضات اشترطت دخول المساعدات الإنسانية إلى المناطق المحاصرة في سوريا لبدء عملية التفاوض مع النظام.

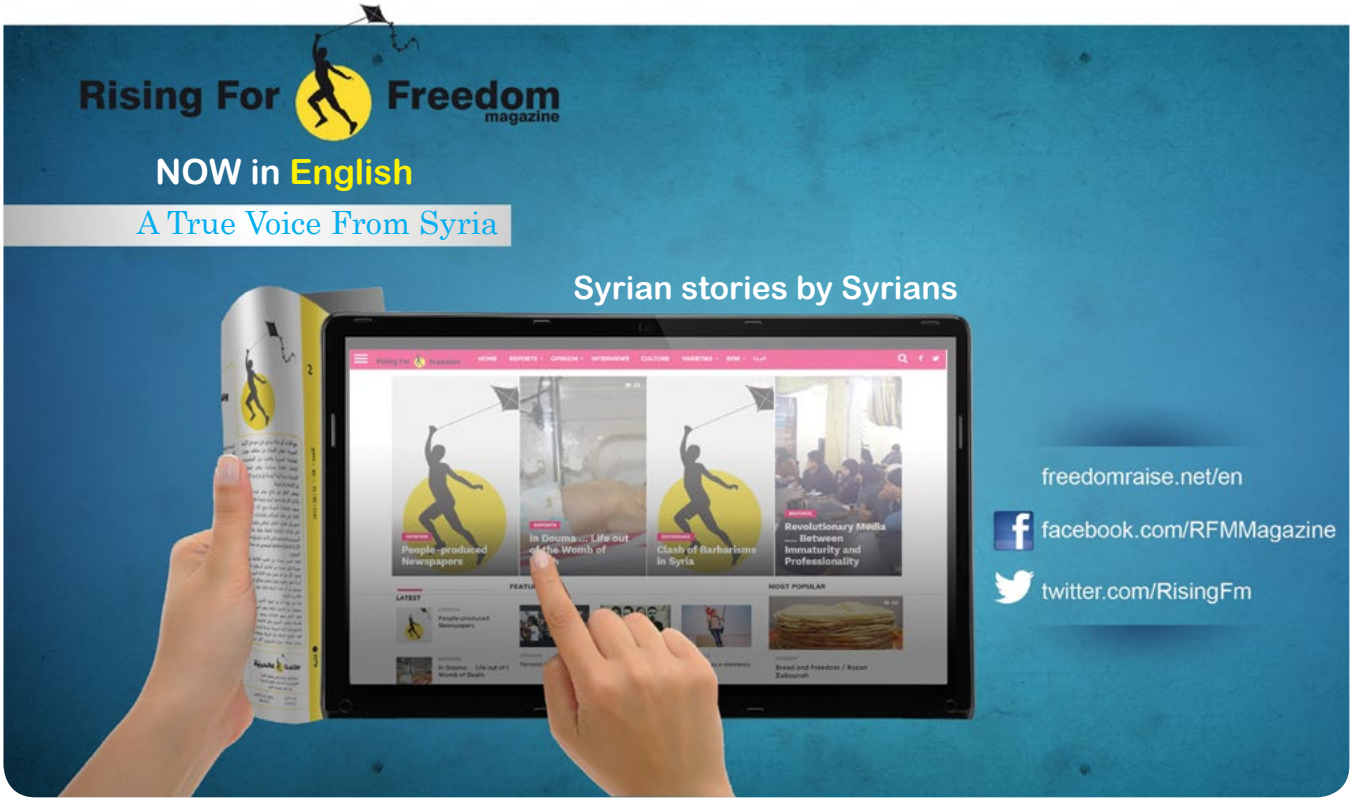

طلعنا عالحرية